أروع القصص العالمية

نداء البراري

أكاديميا

هذه المجموعة من روائع الأدب العالمي الكلاسيكية توفِّر للقارىء متعةً تجعله يعيش في عالم من الإثارة والتشويق والخيال، ومرجعاً أدبياً يعين الطالب في فهم مميزات الرواية الكلاسيكية والحبكة الدرامية.

تعتبر قصة نداء البراري التي ألَّفها جاك لندن في عام 1903 من أكثر القصص مبيعاً. تروي هذه القصة حكاية كلب محبوب جداً يدعى «باك»، خُطف ونُقل إلى شمال غرب كندا، حيث الثلج الدائم والبرد القارس، وذلك للعمل مع المنقِّبين عن الذهب. ومع توالي أحداث القصة، يصبح «باك» شيئاً فشيئاً كلباً برِّياً، يواجه في النهاية قطيعاً من الذئاب.

في هذه السلسلة

فرانكنشتاين	جزيرة الكنز
الدكتور جيكل ومستر هايد	روبنسون كروزو
دراكولا	الحديقة السرية
شبح الأوبرا	أوليفر تويست
20 ألف قدم تحت الماء	نداء البراري
رحلة إلى باطن الأرض	بلاك بيوتي - المهر الأسود



أروع القصص العالمية

نداء البراري

كتبها بتصرُّف

بولين فرانسيس

ترجمة

إيزيس خليل

أكاديميا

نداء البراري

حقوق الطبعة العربية © أكاديميا انترناشيونال 2007

ISBN: 978-9953-37-425-3

Call of The Wild

First published by Evans Brothers Limited (a member of the Evans Publishing Group)
2A Portman Mansions, Chiltern Street, London W1U 6NR, United Kingdom

This Arabic edition published under licence from Evans Brothers Limited

Academia International أكاديميا انترناشيونال
P.O.Box 113-6669 ص.ب.
Beirut - Lebanon 1103 2140 بيروت – لبنان
Tel (961 1) 800811-862905 -800832 هاتف
Fax (961 1) 805478 فاكس
E-mail: academia@dm.net.lb بريد الكتروني
www.academiainternational.com

نـــداء البـــراري

الفهرس

مُقدِّمَة

وُلِدَ جاك لندن في عام 1876 في وِلايَة بِنْسِلْفانيا الأميركيَّة، وَرَحَلَ تـاركـاً مَـنْزِلَـه في الخامِسَـةِ عَشَرَ مِـن عُمْرِه لِيَتَجَوَّل في أميركا الشَّماليَّة حَيث عاشَ مُتَسَوِّلاً وَأمْضى ساعاتٍ عَديدَةً في المَكْتَباتِ العَامَّةِ قارِئاً ثُمَّ قَرَّر الدِّراسَة في جامِعَة كاليفورنيا.

تَرَك جاك الجَامِعَةَ لأنَّه انْخَرَطَ بِما يُسَمَّى "حُمَّى الذَّهَب" التي شَغَلَتِ العالَمَ في التِّسْعينيات مِن القَرْن التّاسِع عشر بعد أن اكْتُشِفَ الذَّهَبُ في نَهْر كُلونْديك في مُقاطَعَةِ يوكون في الشَّمالِ الغَرْبي مِن كَنَدا. رَحَلَ إلى هَذِه المَنْطَقة ما يُقارِبُ الثَّلاثين أَلْفاً آمِلين جَنْيَ الثَّرواتِ الكَبيرَة، وَكانَت مَدينَة داوسن المَكانَ الذي احْتَضَنَ مُنَقِّبي الذَّهَب هؤلاء وَهِي ما زالَتِ المَدينَةُ الرَّئيسيَّة في تِلْك المَنْطَقة.

رَحَلَ الـعَديدُ مِن الأَشْخـاصِ مِن المَنـاطِق الجَنوبِيَّةِ إلى حُدودِ آلاسْكا في الشَّمالِ وَماتَ الكَثيرُ مِنْهم في الطَّريق لأنَّهم لم يَعْتادوا البُرودَةَ الشَّديدَةَ هُناك. كان التَّنَقُّلُ في أَشْهُرِ الشِّتاءِ الطَّويلَةِ يَتِمُّ بِواسِطَةِ الزَّلاَّجـاتِ الـتي تَـجُرُّهـا كِلابُ هـاسْكي الضَّـخْمَـة، وَتَزايَدَ الطَّلَبُ عَلى الكِلابِ الكَبيرَة القَوِيَّة لِلقِيام بِتِلْك المَهام فَأدَّى ذَلك إلى قِيـامِ التُّجّـارِ بِسَرِقَـة الكِلابِ الكَبيرَةِ مِن الجَنوب وَبَيْعِها لِتُواجِهَ مَصيرَهـا في الشَّمـال المُتَجَمِّد؛ وَبَطَلُ هَذا الكِتـاب، بـاك، كـان واحِداً مِن تِلْك الكِلاب.

لِسوء الحَظ عادَ جاك لندن مِن كُلونْديك دون ذَهَبٍ على الإطْلاق، وَلكِنَّه فَكَّرَ بِكِتابَة هَذِه القِصَّة هُناك. نُشِرَ كِتابُ "نِداء البَراري" عام 1903 لِيُصْبِحَ من أَحَدِ الكُتُبِ الأَكْثَر رَواجاً في العالَم، وَتَبِعَهُ كِتابٌ ناجِحٌ آخَر حَوْلَ الكِلاب في عام 1906 سُمِّي بـ"النّاب الأبْيَض".

لم يَمْضِ العام 1913 حَتّى كان جاك لندن مِن أَكْثَر الكُتّابِ شُهْرَةً وَأعْلاهُم أجْراً في العالَم، إلاّ أنَّه أفْرَطَ في شُرْبِ الكُحول وبَدَّدَ أمْوالَهُ ثُمَّ قام بِقَتْلِ نَفْسِه مُنْتَحِراً في عام 1916 وهُو في الأَرْبَعين من عُمْرِه.



الفصل الأول

اخْتِطافٌ في كاليفورنيا

لَم يكُنْ بِمَقدورِ "باك" قِراءَةُ الصُّحُف، وإلاّ لَكان عَلِم بأنَّ المَشاكِلَ كانَت في طَريقِها إليْه؛ ولَيْسَ إليه وحدَهُ فحَسْب، بل إلى جَميعِ الكِلابِ القَوِيَّةِ الكَثَّةِ الشَّعْر عَلى طولِ ساحِلِ كاليفورنيا. لماذا؟ كلُّ ذلك لأن الرِّجالَ تَوَجَّهوا إلى ظُلْمَةِ المَناطِقِ القُطْبيَّةِ للبَحْثِ عَن الذّهب. وكان الآلافُ مِنْهُم يندفعونَ نحو الأراضي الشّماليّة. وقد أرادوا كِلاباً تَجُرُّ زلاّجاتِهم، وأرادوها كلاباً كَبيرَةً وَقَوِيَّةً وذات فَرْوٍ كَثٍّ يَحْميها من البُرودَةِ والصَّقيع.

لَم يكن باك يَعْلَمُ شَيْئاً عَن ذلك. فَقَدْ كان يَعيشُ في مَنْزِلٍ كَبيرٍ فيْ وادي سانْتا كلارا في كاليفورنيا يَمْلِكُهُ السَّيِّدُ جادْج ميلَر. اعْتادَ باك الاسْتِمْتاعَ بالغَوْصِ في بِرْكَةِ السِّباحَةِ والذّهابَ إلى الصَّيْد مع الأبْناء والاهْتِمام بالبَنات في النُّزُهات وَحَمْلَ الأحْفادِ على ظَهْرِه، وفي لَيالي الشِّتاءِ البارِدَة كان يَتَمَدَّدُ عِنْد قَدَمَي جادْج أمامَ النّارِ المُتَّقِدَة.

حكَم باك مَمْلَكَتَهُ الخاصَّةَ تِلْك مُدّةَ أرْبَعِ سَنوات. كان والِدُه مِن نَوْع سانْ بِرْنارد وَأمُّه من نَوْع الشّيبرد الصَّغير، ولِذلك لم يكُن ثقيلاً للغايَة إذْ لم يتعدَّ وَزْنُه مئةً وَأربعين باوْنداً. أَحبَّ الصَّيْدَ وَلِذلك قَوِيت عَضَلاتُه، ولَوْلا البُقْعَةُ البَيْضاءُ عَلى صَدْرِه وَالنُّقاطُ البُنِّيَّةُ عَلى أَنْفِه وَفَوْق عَيْنَيْه لَبَدا مثلَ ذِئبٍ ضَخْمٍ.

هكذا كان باك في خريف 1897 في الوقتِ الذي بلغتْ فيه حُمّى الذّهبِ في كلونديك ذرْوَتَها. لم يَعْلَمْ باك بأمرِ الذّهب وَلم يكُن يَعْلَمُ شيئاً عن مانويل البُسْتاني وَاحتِياجِه الشّديدِ للمال. في أحَدِ الأيّام اصْطَحَبَ مانويل باك في نُزْهَةٍ في البُسْتان ثُمّ أخَذَهُ إلى مَحطّةِ القِطار. وهُناك وَضعَ حبْلاً حَوْل عُنقِه أسْفَل طَوْقِه ثُمّ خاطَبَ الغريب الذي كان بانْتظارِه في المَحطّة:

"لُفَّ هذا الحبْلَ وَسيَضيقُ الخِناقُ عليْه".

قَبِلَ باك بالحبْلِ المُلْتفِّ حَوْل عُنُقِه لأنّه تَعلّمَ الوُثوقَ بالأشْخاصِ الذين يَعْرِفُهم. وَلكِن عِنْدما انْتَقلَ الحبْلُ إلى يَدِ الغريب زَمْجَرَ غاضِباً. وَفَجْأةً ضاقَ الحبْلُ حولَ عُنق باك ولم يَسْتطِع التّنفّسَ فهجَمَ على الغريب، ولكنّ هذا الأخير أمْسَك به مِن رَقبتِه وَقذَفه خلْفَ ظهْره ثُمّ لفَّ الحبْلَ حَوْلَ رَقبته مرّةً ثانيةً فرقَد باك على الأرْض فاقداً وَعْيه.

عِنْدما فتح باك عيْنَيْه بعد ذلك، وجدَ نفْسَه على مَتْنِ قِطارٍ، وكان بِجانبِه الرّجُلُ الغريبُ فانْقضّ عليْه. أمْسَكَ الغريبُ باك مِن رَقبتِه وَضغط عليْها فضاقَ نفَسُه بشكْلٍ كُلّيّ، ثُمّ قامَ بإزالةِ الحبْلِ وَالطّوْقِ مِن حَوْلِ رَقبتِه وَقذَف به إلى داخِلِ قفصٍ خَشَبيّ.

وَخِلال الرِّحْلَة، حينَما كان يُفْتَحُ أيُّ باب، كان باك يَهُبُّ واقِفاً على قدَمَيْه ظنّاً منه أن جادْج أو أحَدَ أبْنائِه قد حضَر لاستِرْجاعِه، وَلكِنّهم لم يأتوا أبداً. كانتِ الرِّحْلةُ طويلةً، وُضِعَ باك في بدايتها في عَرَبةٍ ثُمّ في شاحِنةٍ ثُمّ في عبّارةٍ بُخاريّةٍ ثُمّ في هذا القِطارِ السّريع، وَطوال ليْلتين لم يَتناوَلْ طَعاماً أو شراباً. وقد عُومِلَ بطريقةٍ سيّئةٍ لم يَسْبِقْ له أن عُومِلَ بمِثْلِها مِن قبْل. كان وَقْعُ الصّدْمةِ على باك قَوِيّاً فأُصيبَ بالحُمّى وَأصابَ الالْتِهابُ وَالانتِفاخُ حلقَه ولِسانَه واحْتقَنت عيْناه بالدماء. لقد بدا باك وَحْشاً غاضِباً.

وَلو أتى جادْج الآن لَما عرَفه.

الفصل الثاني

الرَّجُل ذو السُّتْرَة الحَمْراء

تَوقَّفَ القِطارُ السَّريعُ في مَدينَة سِياتل، وأُخِذَ باك إلى ساحَةٍ صَغيرَةٍ حَيْثُ أتى رَجُلٌ يَرْتَدي سُتْرَةً حَمْراءَ لِرُؤْيَتِه وَتَفَحُّصِه.

فَكَّر باك في نَفْسِه قائلاً: "ها قد أتى مُعَذِّبٌ آخَر." ثُمَّ ألْقى بِنَفْسِه على قُضْبانِ القَفَص. ابْتَسَم الرَّجُلُ ثُمَّ تَجَهَّم وَجْهُه وَأَحْضَر هَراوَةً خَشَبيَّةً وراحَ يَضْرِبُ القَفَصَ بِها، ما جَعَل باك يَنْهَشُ الهَراوَةَ بِأسْنانِه، وَكُلَّما كانَتِ الهَراوَةُ تَصطدِمُ بالقَفَصِ كان باك يُزَمْجِرُ غاضِباً.

صَرَخَ الرَّجُل: "أيُّها العِفْريت"، ثُمَّ فَتَح بابَ القَفَصِ فاسْتَعَدَّ باك للانْقِضاض؛ انْتَصَبَ شَعْرُه وتَزَبَّدَ فَمُه وَلَمَعَتْ عَيْناه الحَمْراوان الغاضِبَتان وَانْدَفَع نَحْو الرَّجلِ فاتِحاً فَمَه اسْتِعداداً لِعَضِّه. وَفَجْأةً أُغْلِقَ فَكُّه وَسَقَط إلى الأرْضِ مُصاباً بِدَوْخَةٍ حادَّة. لَقد ضَرَبه الرَّجلُ بالهَراوَةِ الخَشَبيّة على رَأْسِه.

نَهَضَ باك بِسُرْعَةٍ واقِفاً عَلى قَدَمَيْه وَانْقَضّ على الرَّجلِ وهو يَنْبَحُ بِصَوْتٍ عالٍ، فَضَرَبه الرَّجلُ ثانِيَةً. كَرَّر باك مُحاوَلاتِه

للانْقِضاضِ على الرَّجُل وَلأكْثَر مِن اثْنَتَي عَشْرَة مَرَّة، وكان الرَّجلُ في كُلِّ مَرَّةٍ يَضْرِبُه فيَسْقُط باك إلى الأَرْض.

بَعْدَ الضَّرْبَةِ الأخيرَة، مَشَى باك في السَّاحَةِ مُتَرَنِّحاً وَالدَّمُ يَقْطُرُ مِن فَمِه وَأَنْفِه. وَكان شَعْرُه الجَميلُ مُلَطَّخاً بِاللُّعابِ الدّامي. كان مُتْعَباً لا يَقْوى عَلى الهُجوم مِن جَديد، إلاّ أنَّ هَذا لَم يوقِفِ الرَّجُلَ فَاقْتَرب مِنْه وَرَفَعَ الهَراوَةَ عالِياً وَضَرَب بها أَنْفَه. قَفَز باك مُتَلَوِّياً مِن شِدَّةِ الألَم، ثُمّ أمْسَكَهُ الرَّجُلُ بِيَدِه وَرَماه إلى الأرْض وَضَرَبه مِن جَديد.

فَقد باك وَعْيَه.

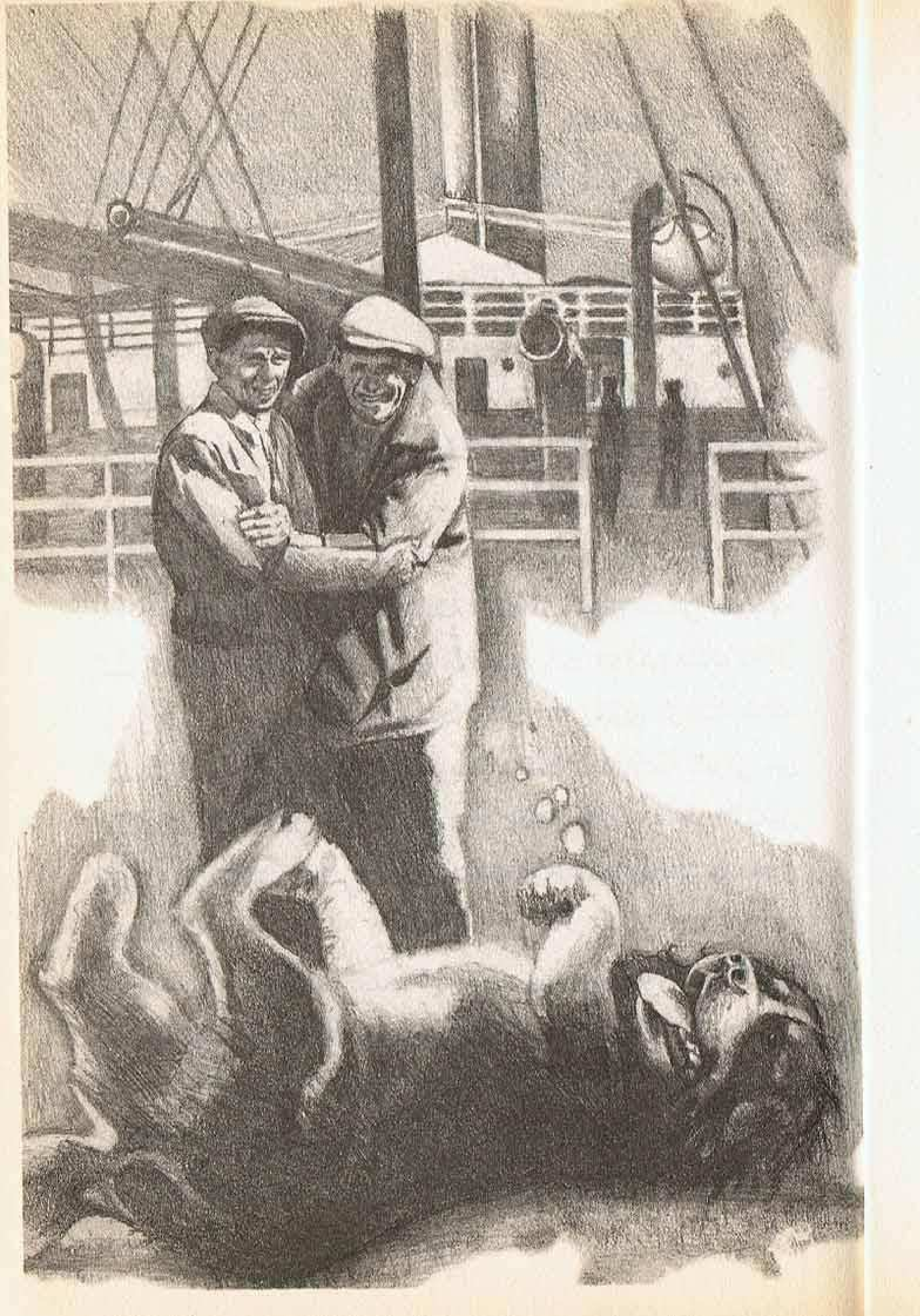
بَعْد ذَلِك بِفَتْرَةٍ قَليلَة، فَتَح باك عَيْنَيه وَشاهَد الرَّجلَ ذا السُّترةِ الحَمْراء. انْحَنى الرَّجلُ وَرَبَّت عَلى رَأسِ باك ثُم قَدَّم له الماءَ وقِطَعاً مِن اللحم.

قالَ الرَّجل: "حَسناً يا صَغيري باك، لَقَد حَدَث بَيْنَنا قِتالٌ خفيف، وَلكن مِن الأَفْضَلِ أن نترُكَ الأُمورَ عِنْد هَذا الحد. لقد تَعَلَّمْتَ دَرْسَك، وأنا أعرِفُ دَرْسي. كُنْ كَلْباً مُطيعاً وَسَيَجْري كُلُّ شَيءٍ بيننا عَلى ما يُرام. أمّا إذا كنْتَ مُشاكِساً فسأُذيقك أمرَّ العَذاب، أفَهِمْتَ؟"

فكّر باك في نفسه قائلاً: "لقد تمّ ضَرْبي، لكِن عِظامي لم تتكسَّر. لا أَسْتَطيعُ مُقاوَمَةَ هَذا الرَّجُل، لا أَمَلَ لي مَعه".

لَم يَنْسَ باك الدَّرْس الذي تَعَلَّمه في ذَلِك اليَوْم. كانَتِ المَرَّةُ الأوْلى التي يَتَعَرَّفُ بِها باك عَلى هَذا القانون البَسيط: الرَّجُل المسلَّحُ بالهَراوَةِ هو سَيِّدٌ تَجِبُ طاعَتُه.

بَعْدَ ذلِك بأسابيعَ قَليلَةٍ، جاء رَجُلٌ صَغيرُ الجِسْم إلى السّاحَة. لم يَكُنْ يَتَكَلَّمُ الإنْجليزيَّةَ بِشَكْلٍ جَيِّد، وَعِنْدما رَأى باك لَمَعَتْ عَيْناه.



قالَ الرَّجُل: "هَذا الكَلْب يَنْدُرُ وُجودُه، أَلَيْس كَذَلِك؟ كَم تُريدُ ثَمَناً لَه؟".

أجابَ تاجِرُ الكِلاب: "ثَلاثَ مِئَة، وَهَدِيَّةً لِذَلك يا بيرولت."

اشْتَرى بيرولت باك وَكَلْبَةً أُخْرى تُدْعَى كيرلي، وَأَخَذَهُما مباشرةً إلى باخرةٍ حَيْث انْضَمّا إلى كَلْبَيْن آخَرين هُما سبيتز ودايف. وكان يَهْتَمُّ بالكِلابِ جَميعَها شَخْصٌ طويلُ القامةِ يُدْعَى فرانسوا، وَهُو كَنَديّ-فَرَنْسِيّ مِثْل بيرولت. وَكان الرَّجُلانِ لَطيفَيْن وهادئَيْن وَمُنْصِفَيْن في تَعامُلِهِما، فَلَم يُقابِلْ باك أشْخاصاً مِثْلَهُما من قبل، وَكان الاحْتِرامُ يَنْمو بِداخِلِه نَحْو هَذَيْن الرَّجُلَيْن وَلَكِنّه لَم يُحِبَّهُما إطْلاقاً.

في الخارِجِ كان الطَّقْسُ يَزْدادُ بُرودَةً يَوْماً بعدَ يَوْم. وَفي أَحَدِ الأيّام اصْطَحَبَ فرانسوا الكِلابَ إلى سَطْحِ السَّفينَة. وَفي أَوَّل خُطْوَةٍ لَه عَلى السَّطْح البارِد، غَرِقَت قَدَما باك في شَيْءٍ أَبْيَضَ وَناعِمٍ يُشْبِه الطّين. وكان المَزيدُ مِن هَذا الشَّيء يَتَساقَط عَلَيْه من السَّماء.

هزَّ باك جَسَده قليلاً، ولكنَّ المزيدَ من الثلْجِ كان يسقُطُ عليه. شَمَّهُ ثُمّ لَعِقَهُ. كان مَذاقُه لاذِعاً لبرْهَةٍ ثُمّ أَخَذَ يذوبُ في فَمِه. ضَحِك الرِّجالُ المَوْجودون عَلى ظَهْرِ السَّفينَة لمَنْظَرِ باك الذي كان يَلْعَبُ بالثَّلْج المُتَساقِطِ للمَرَّةِ الأُولى.

وَلَكِن عِنْدَما أَبْحَرَتِ الباخرةُ نَحْو الميناء، ابْتَدَأ الكابوسُ بالنِّسْبَة لباك.

الفصل الثالث

المِنْطَقَةُ الشّماليّة

كـانَـت كلُّ سـاعَـةٍ تَـمرُّ عـلـى بـاك في يَوْمِـه الأوَّل في المِنْطَقَـةِ الشّمـاليّـةِ مَليئَـةً بـالمُفـاجـآتِ والصَّـدَمـات. لم يَكُن هُنـاك شَمْسٌ أو راحَةٌ. وكانت حياةُ باك مُعَرَّضَةً للخطرِ في كلِّ لَحْظَةٍ. وكان يَتَوَجَّبُ عَلَيْـه أن يَـكـونَ حَـذِراً طَـوال الـوقت. كـان الـرِّجـالُ والـكِـلابُ هُـنـا مـتـوحِّشِين، وَلَقد تَـعَلَّـم بـاك دَرْساً قـاسِيـاً في يَوْمِـه الأوَّل وَكـانَـتِ الضَّحِيَّةُ فيه كيرلي.

كانَت كيرلي حَيَواناً لَطيفاً أليفاً، مَشَتْ في إحدَى اللّيالي متوجِّهَةً نَحْو كَلْبٍ من نوع هاسْكي خارِجَ مُخَيَّم بيرولت. لَم يكُن هُناك دَلائِلُ تُشيرُ إلى ما سَيَحْدُث وكان باك يُراقِبُ ما يَجْري بِرُعْب. شاهَدَ أَسْناناً تَلْمَعُ في الليْل وَقَفْزَةً سَرِيعَةً انْتَهتْ بِشَقِّ وَجْهِ كيرلي مِن عَيْنَيْها حتّى فكّها. وفي غضونِ ثَوانٍ قليلةٍ، تَجَمَّع حوالَي أَرْبَعين كَلْبـاً مِـن نَـوْعِ هـاسْكي لمُشاهَدَةِ القِتـال وَظَلّوا واقِفينَ يَلْعَقون شِفاهَهُم.

انْدَفعتْ كيرلي نَحْو كَلْب الهاسْكي من جديد، إلاّ أنّه طَرَحَها أَرْضاً. كـانَتِ الكِلابُ الأُخرى تَنْتَظِرُ هَذه الـلّحْظَة فـاقْتَرَبَتْ بِبُطْء تُزَمْجِرُ وَتعْوي، وَسُرْعان ما انْقَضَّتْ جَميعُها عَلى كيرلي وَتركوها في النِّهايَةِ مُمَزَّقَةً إلى أشْلاءٍ ومُمَدَّدَةً عَلى الثَّلْج بِلا حَياة.

فَكَّر بـاك قـائلاً: "هَكذا إذاً هي الحَياة هُنا، ما مِن نِزالٍ عادِل. ما

إن تَسْقُطَ حتى تكون تِلْك نهايتُك، لِذَلك لَن أَسْقُطَ أبداً وَلَن أَسْتَسْلِم".

وَخِلال ذَلِك اليَوْم أَيْضاً تَعَرَّضَ باك لِصَدْمَةٍ أُخْرى. فَقَد وَضَعَ فرانسوا لِجاماً على ظهره وَثَبَّتَهُ إلى زلاّجَة، ما دَفَعَ باك إلى التَّفْكير:

"أنا الآن كَلْبٌ عامِل، تَماماً كَأَحْصِنَةِ السَّيِّد جادْج ميلر!"

ثُمّ فكّر بِحِكْمَةٍ كَبيرَة أنّ الآن لَيْس وَقْتُ التَّمَرُّدِ والعِصْيان، ولِذلِك قَدَّم أَفْضَلَ ما عِنْده.

أَحْضَر بيرولت إلى المُخَيَّمِ كِلاباً جَديدَةً لِجَرّ زَلاّجَته لِيُصْبِح مَجْموعُها تِسْعَةً. وكـانَت ستَنْطَلِقُ صَباحاً إلى مَدينَةِ داوْسن لِتَسْليم الرَّسائِلَ إلى الحُكومَةِ الكَنَدِيَّة.

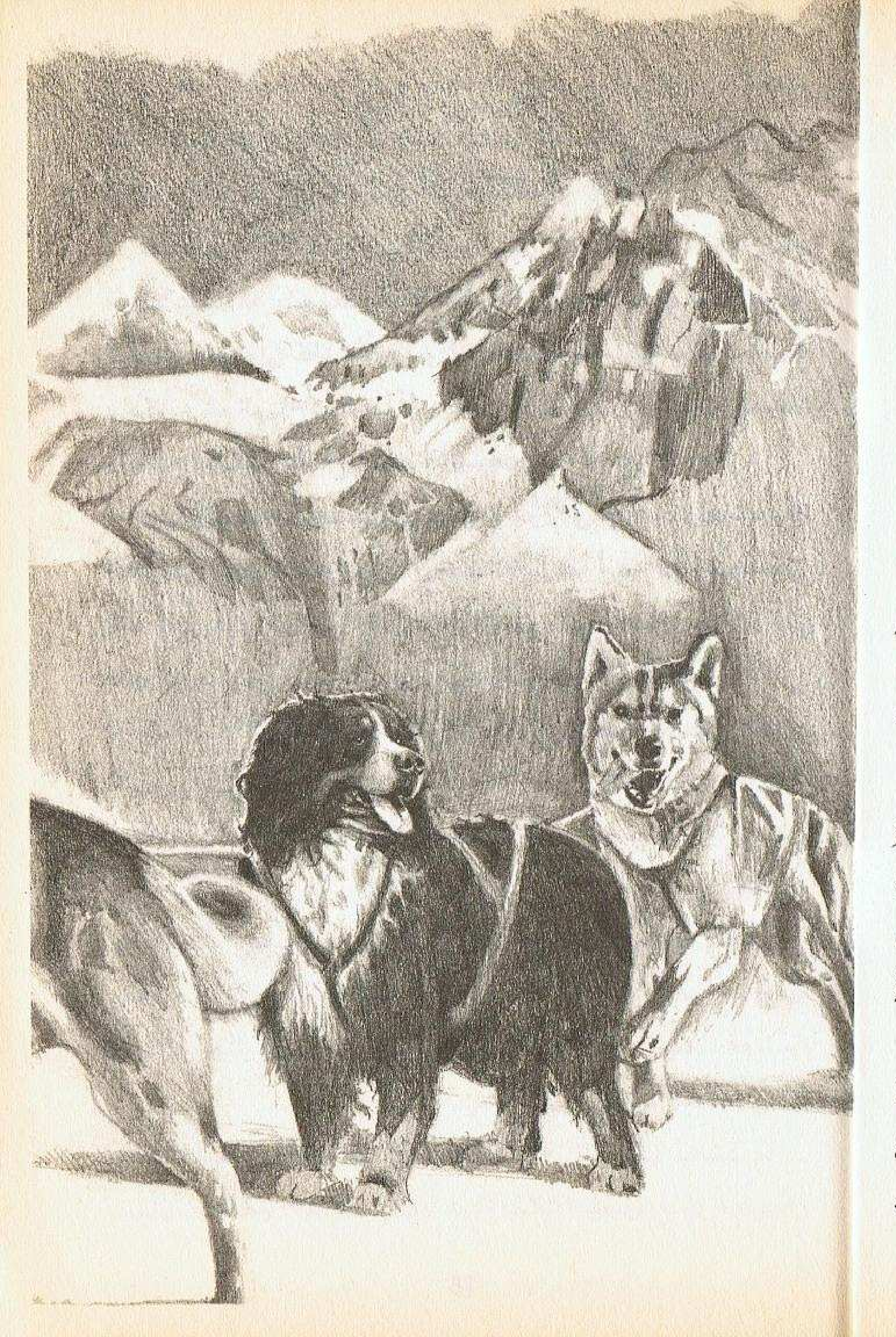
لقد جَلَبَ اللَّيلُ أخطاراً جديدةً لباك. ففي إحدَى اللَّيالي عِنْدَما كـانَـت خَيْمَـةُ بيرولت وفـرانسوا مُضـاءَةً بـالشُّمـوع تَسَلَّل بـاك إلى الدّاخِلِ للنَّوْمِ مَعَهما. إلاّ أنّ الرَّجُلَيْن صَاحا به وَرَمياه بِقِدْرٍ مَعْدِنِيَّةٍ على رَأْسِه حتّى فَرّ مُبْتَعِداً إلى البَرْد في الخارج.

رَقَد بـاك عَلـى الـثَّلْـج وَحـاوَل أن ينـامَ، إلاّ أنّ الـرِّيـاحَ البـارِدَةَ والصَّقيعَ جَعَلاه يَقِفُ ثانِيَة. ثُمّ تَجَوَّلَ في المَكانِ بِحُزْنٍ مُزَمْجِراً عَلى كُلّ كَلْبٍ بَرِيٍّ يَمُرّ بِقُرْبِه. كَيْف يُمْكِن لِهذه الليلة الرهيبَةِ أن تَنْقَضي بِسَلام؟

فَجْأَة، فكّر باك:

"سَوْف أُحاوِلُ العُثورَ عَلى المَكانِ الذي يَنامُ فيه رِفاقي".

انْطَلَق بـاك بـاحِثـاً في المُخَيَّم، أَيْن هُم جميعاً؟ لقد اخْتَفوا! ارْتَجَفَ باك بِعُنْفٍ وَانْخَفَضَ ذَيْلُه، ثُمّ انْغَرَزَتْ قَدَماهُ في الثَّلْج. تَحَرَّكَ شَيْءٌ تحتَ قَدَمِه فـأخذ يُزَمْجِر، إلا أنّ كَلْباً عَوى، فَأَمْعَن بـاك النَّظَر ثـانِيَة



وإذْ به يُشاهِدُ واحداً مِن الكِلابِ الجَديدَة قد الْتَفّ عَلى نَفْسِه في حُفْرَةٍ حفَرها في الثَّلج. فكَّر باك: إذَن هذه هي الطَّريقةُ للعَيْش هُنا، دَرْسٌ آخر أتعلَّمُه!"، ثُمّ حفَر باك لنَفْسِه حُفْرَةً في الثَّلْج وَالْتَفَّ عَلى نَفْسِه لِتَمْلأَ حَرارَةُ جَسَدِه أَرْضَ المَكانِ وَتُكْسِبَه الدِّفْء.

قالَ فرانْسوا مُخاطِباً بيرولت: "ذلِكَ الكَلْب باك يَتَعَلَّم بِسُرْعَة".

أَوْمأَ بيرولت موافِقاً: "أَجل وَأنا سَعيد لِذلك، يَنْبَغي الحُصول عَلى كِلابٍ جَيِّدَة لتوصِلنا إلى داوسن في الوَقْتِ المُحَدَّد".

انْطلَقَ الجميعُ في الصَّباح. وَعلى الرَّغْمِ من أنّ العَمَلَ كان شاقّاً، فقد دُهِشَ باك لِرُؤْيَةِ الكِلاب تتغيَّرُ وهي تعملُ معاً. لَقد بَقِيَت حَذِرَةً وَيَقِظَةً وَحَريصَةً على سَيْرِ الأمورِ عَلى خَيْرِ ما يُرام. كان باك مربوطاً بِلِجامٍ أمامَ كَلْبٍ اسْمه دايف، وكان خَلْفَه كَلْبٌ آخر بِعَيْنٍ واحِدَة يُدْعَى سول-ليكس. وَكان هذان الكَلْبان بمثابَةِ مُعَلِّمَيْن له يُنَبِّهانِه لِلأخطاءِ التي يَرْتَكِبُها. وَكان بَقِيَّةُ الفَريقِ في المُقَدِّمة يَقودهم سبيتز.

كانَ الرَّكْضُ صَعْباً على الممرّاتِ الجليديَّةِ عَبْرَ أكْوامِ الثَّلْج وَخِلالَ الجِبالِ العالِيَة وَعَبْرَ البُحَيْرات. وَكان بيرولت عَلى عَجَلَةٍ مِن أمْرِه دائِماً، إلاّ أنّه كان يَهْتَمُّ بِكِلابه جَيِّداً وَلم يَأْخذْها أبَداً إلى المَناطِقِ التي تَخِفُّ فيها سَماكَةُ طَبقاتِ الجَليد لأنّه كان عَلى دِرايَةٍ تامَّةٍ بِجَليد تِلْك المَناطِق.

مَرَّتِ الأيّامُ يَوْماً تِلْو الآخَر في المِنْطَقَةِ القُطْبِيَّة، كان فيها الرِّجالُ يَنْصِبونَ المُخَيَّمَ لَيْلاً وَيُطْعِمونَ الكِلابَ سمكَ السَّلْمون بِمِقْدار باوْند وَنِصْف باوند لِكُلِّ واحِدٍ، ثُمّ يُطْلِقونَها لِتَنامَ في الثَّلْج.

كان باك يَشْعُرُ بالجوعِ في مُعْظَمِ الأوْقات. وَتعَلَّمَ التِهامَ الطَّعامَ بِسُرْعَةٍ ناسِياً بِذلِك آدابَ حَياتِهِ السّابِقَة. حَتّى أنّه تعَلَّم سَرِقَةَ الطَّعام، لأنّه كان يُناضِلُ من أجلِ البَقاء.

لقد تغَيَّر باك لا لأنَّه أرادَ التَّغْيير، ولكن لأنه لم يكُن له خيارٌ آخَر. قَوِيَتْ عَضَلاتُه ولم يَعُدْ يَشْعُرُ بالأَلَم. وَأَصْبَح يَتَناوَلُ أيَّ نَوْعٍ من الطَّعامِ حَتّى وإن كان مُقْرِفاً. وَأَصْبَحَت حَواسُّه أكْثَرَ حِدَّةً إذ أَصْبَح بإمْكانِه شَمّ الرِّياحِ ويَعْرِفُ أيْنَ يَحْفِرُ مَلاذَه لَيْلاً. وَكَذلِك قَوِيَ سَمْعُه وَأَصْبَح بإمْكانِه سَماعَ أخْفَتِ الأصْوات.

تَحَوَّلَ باك تَدْريجِيّاً إلى حَيَوانٍ بَرِّيّ وَنَسِيَ سَنَواتِ العَيْشِ الطَّويلَةِ داخِلِ المَنازِل. وكان أحْياناً يُوَجِّهُ أنفَه نَحْوَ نَجْمَةٍ في السَّماء وَيَعْوي كالذِئْب؛ كان ذَلِك الوَحْشُ البَرِّيّ داخِلِ باك قد قَوِيَ كثيراً وأخذ ينمُو يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ في حَياتِه الجَديدَةِ الصعبة.

وما لبثَ أنِ انْتابَ باك شُعورٌ بضرورةِ السَّيْطَرَةِ على الكِلابِ الأُخْرَى، وَبِخاصَّةٍ سبيتز.

الفصل الرابع

باك يتّخذ له عدوّاً

سُرْعانَ ما أَحَسّ سبيتز بالتَّغْيير الذي حصلَ لباك وأرادَ افْتِعالَ قِتالٍ مَعَه. وَكان سبيتز يَعْلَمُ تماماً أنّ هذا القِتال سَيَنْتَهي بِمَوْتِ أحَدِهِما.

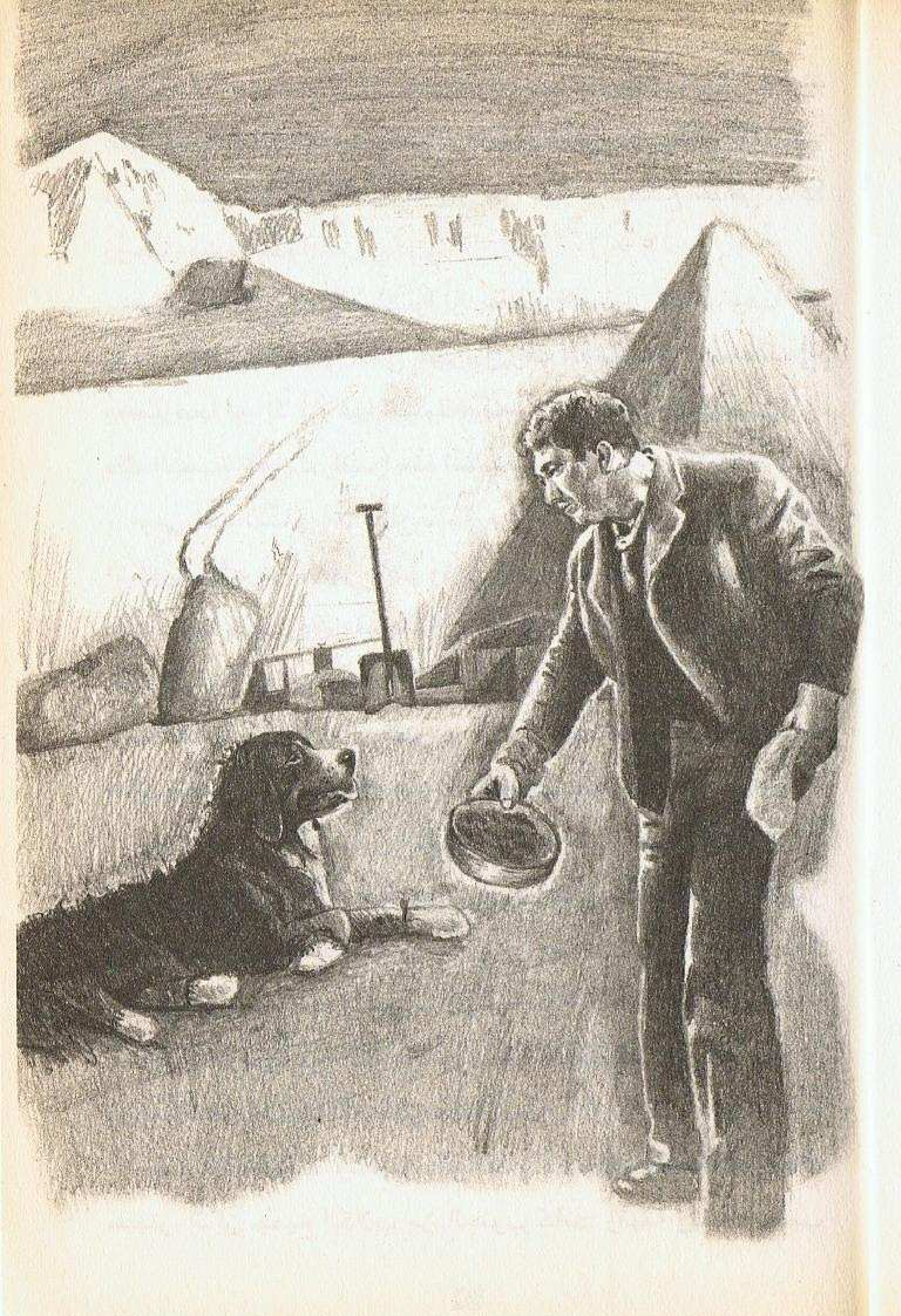
وفي إحْدى الليالي أرادَ سبيتز اخْتِبارَ قوَّةِ باك. كانوا قد خَيَّموا على شاطِىء بُحَيْرَةٍ، وَكانَتِ الرِّياحُ البارِدَةُ تَهُبُّ بِقُوَّةٍ وتدفعُ الثلجَ باتجاهِهِم. احتَمَى باك أسْفَل صَخْرَة، وَعِنْدَما ذَهَب لِجَلْبِ السَّمَكِ اعْتَرَضَه سبيتز فَفَقَدَ صَبْرَه وَزَمْجَر غاضِباً مُخْرِجاً الوَحْشَ الذي بِداخِلِه وَنَبَح بِقُوَّةٍ أدْهَشَتِ الاثنينِ معاً.

صَرَخ فرانسوا الذي كان يُشاهِدُ ما يَجْري، فقال له: "لَقِّنْ ذَلِك اللّصَّ دَرْساً يا باك!"

أخذ الكلبان يدورانِ حَوْلَ بَعْضِهِما البعض، لا يُخفيانِ رغبَتَهُما في القِتالِ.

وَفَجْأة صَرَخ بيرولت، ثُمّ سَمِعوا صَوْت هَراوَته وهي تَهْوي تَبَعَها نُباحٌ وَصَرْخَةُ ألَم. وَخِلالَ ثَوانٍ قليلةٍ امْتَلأ المَكانُ بِكِلابِ هاسْكي الجائِعَة المُخيفَة التّي قَدِمت أثناءَ القِتالِ تَجْذِبُها رائِحَةُ الطَّعام، وَكان عَدَدُها ثَمانين أو مِئَة كَلْب.

لَم يُشاهِدْ باك مِثْلَ هَذِه الكِلاب مِن قَبْل. كانَت نَحيلَةً للغايَة وَعُيونُها تَلْمَعُ وَسَطِ الظَّلام وَلَها أنْيابٌ مُخيفَةٌ. وَكانَت مُهْتاجَةً



بِسَبَبِ الجوعِ فَدَفَعَتْ كِلابَ القافلةِ نَحْوَ الصُّخور. هَجَمَتْ ثَلاثَةُ كِلابٍ على باك وَنَهَشَت وَجْهَه ورَقَبَتَه، إلاّ أنّ باك اسْتَطاعَ أن يَعَضَّ أحَدَها فانْتَثَرَتِ الدِّماءُ في الهَواءِ وَأَحسّ باك بِطَعْمِ الدَّمِ في فَمِه، ما جَعَلَه أكْثَرَ عُنْفاً فَهَجَم على كَلْبٍ آخَر من نوعِ هاسكي.

فَجْأةً أَحَسّ باك بأَسْنانٍ تَنْغَرِزُ في جَسَدِه. وكانت هذه الأسنانُ أسنانَ سبيتز الذي حاوَلَ إضْعافَه ليَسْقُطَ إلى الأرْض فتَتَجَمَّعُ حَوْلَه كِلابُ الهاسْكي وَتَقْتُلُه. لَكِنّ باك عَلِم بمُخَطَّط سبيتز وتذكَّرَ ما حَدَث مع كيرلي، وفَكَّر:

"لَن أسْقُطَ أبَداً".

وَهكذا كان، فلَم يَسْقُطْ باك، وَدَفَع سبيتز بَعيداً وَجَرى خَلْفَ الآخَرين نَحْوَ البُحَيْرَة. كان مَنْظَرُ الفريق يُرْثَى لَه. فَقَد جُرِحَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُم في عِدَّةِ أماكِنٍ وَتَمَّت سَرِقَةُ طَعامِهِم، حَتّى أنَّ كِلابَ الهاسْكي تِلْكَ قَد مَضَغَتِ الطَّعامَ من خلالِ الأَرْبِطَةِ الجِلْدِيَّة، وَهَذا ما أَقْلَقَ بيرولت.

قالَ بيرولت: "ما زالَ أمامَنا مَسافَةُ أربعِ مئةِ ميلٍ، وَلنَأْمَل أن لا يُصابَ أَحَدٌ مِن كِلابنا بداءِ الكَلَب بسببِ تِلْكَ الكِلابِ البَرِّيَّة". كانَ الجُزْءُ الآخَرُ من الرِّحْلَةِ عَبْرَ النَّهْرِ الكَبيرِ هُوَ الأصْعَب. فَقَد كانَ الماءُ يتدفَّقُ بعُنْفٍ يجعلُ الجَليدَ رَقيقاً جِدّاً في بَعْضِ الأماكِن. وَقد انْخَفَضَتْ دَرَجَةُ الحَرارَةِ إلى خَمْسين دَرَجَةٍ تَحْتَ الصِّفْر. كَما أنَّ بيرولت أَضْنَى الكِلابَ بالعَمَلِ سِتّةَ أيامٍ مرهقةٍ مِن بُزوغِ الشَّمْسِ وَحتّى المَغيب.

لَم تَكُن قَدَما باك بقَساوَةِ أقْدامِ الكِلابِ الأُخْرَى. فَقَد كانَ يَعْرُجُ

مِن شِدَّةِ الألَمِ نَهاراً وَيرتَمي كَكَلْبٍ قَتيلٍ عند التَخْييم. ولم يكُن قادراً على جَلْبِ طَعامِهِ بِنَفْسِه فكان فرانسوا يُحْضِرُه له، وَكان يَفْرُكُ له قَدَمَيْه حتّى أنّه شَقّ الجُزْءَ الأعْلى من حِذائِه لِيَصْنَعَ لِقَدَمي باك زَوْجَيْن من الأحْذِيَة.

وَذاتَ صَباحٍ، نَسِيَ فرانسوا أن يُحْضِرَ الحِذاءَيْن لباك، وَهَذا ما جَعَل باك يَستَلْقي على ظَهرِهِ ويرفعُ قَدَمَيْه في الهَواء حتّى يُحْضِرهما له. إلاّ أنّ هَذا السُّلوك دَفَع بفرانسوا إلى التَّجَهُّم، وَكان ذَلِك التَّجَهُّمَ الأوّلَ لفرانسوا مُنْذ أسابيع.

وَفي أحَدِ الأيّامِ عَلا نُباحُ كَلْبَةٍ مِن الفَريق تُدْعَى دوللي جَعَلَتِ الآخَرين يَشْعرونَ بِالفَزَع. ثُمّ وَثَبَتْ على باك الذي لَم يَسْبِقْ لَه أن شاهَد أحَداً مَسْعوراً مِن قبْل. كان يعلَمُ فَقَط أنّ هُناك خَطَراً عَلى بُعْدِ خَطواتٍ مِنْه فجَرى مُبْتَعِداً عَنْه بِكُلّ قُوّته نَحْوَ فرانسوا الذي كان يُمْسِكُ فَأساً بيَدِه، وَما إن اقْتَرَبت دوللي مِنْهُما حَتّى هَوى فرانسوا بِفَأسِه عَلى رَأس دوللي المَسْعورَةِ فأرْدَاها صَريعَةً.

وَفيما كان باك يُحاولُ الْتِقاطَ أنْفاسه، هَجَم سبيتز عَلَيْه وَغرَزَ أسْنانَه في جَسَدِه، إلاّ أن فرانسوا شاهَد ما كانَ يَحْدُث فضرب سبيتز بسَوْطِه حَتّى فَرّ مُبْتَعِداً.

قالَ بيرولت: "ذَلِك اللعين سبيتز".

فَقالَ لَه فرانسوا: "أتَدْري؟ يَوْماً ما سَيَهْجِم باك عَلى سبيتز وَسَيُمَزِّقُه إرباً تارِكاً إيّاه عَلى هَذا الثَّلْج".

ومنذ ذَلِك الوَقْت وسبيتز على عداءٍ مع باك. وَلَقد أدْهَشَ باك سبيتز، إذ إنّ جَميعَ الكِلابِ مِن الجَنوبِ كانت رَقيقَةً وَتَموتُ بِسَبَب

العَمَلِ المُنْهِك وَالثَّلْج، إلاّ أنّ باك كان مُخْتَلِفاً. فَقَد كان ماهِراً وَقَويّاً مِثْل كِلاب الهاسْكي الأُخْرَى. إنّه الآن واحِدٌ مِن كِلابِ الجرّ وَكان فخوراً بذلك.

وَأخيراً حَدَثَتِ المُواجَهَةُ بَيْن الكَلْبَيْن في رِحلَةِ العَوْدَة من داوسن، وَكان باك خِلال هَذِه الفتْرَة يُحَرِّضُ الكِلابَ الأُخْرَى ضِدّ سبيتز فَلَم تَعُدْ تَخْشاه وَلَم تَعُدْ تَعْمَلُ كفَريقٍ واحِدٍ عِنْد رَبْطِها للجَرّ.

وَفي إحدى الليالي، وَثَبَ أَحَدُ كِلابِ الفَريقِ عَلى أرْنَبٍ بَرِّيّ إلاّ أنّه لَم يَسْتَطِعِ الإمْساكَ بِه. وَفي لَحْظَة، تَجَمَّعَ الفَريقُ بِأكْمَلِه للإمْساكِ بِذَلِكَ الأَرْنَب، وَسُرعان ما انضَمّ إلى كِلابِ الفَريق كِلابٌ أُخْرَى مِن مُخَيَّمٍ قَريبٍ يَبْلُغُ عَددها حَوالَي خَمْسينَ كَلْباً كُلّها مِن نَوْع هاسْكي. وَفي ذَلِك المَساء كان باك يتوقُ لإراقَةِ الدِّماءِ بِقُوّةٍ فسارَ في مقدِّمةِ القطيع. لَقد أرادَ قَتْلَ ذَلِك الأرْنَب بِأَسْنانِه وَأرادَ أن يُمَرِّغ أنْفَهُ بدِماءِ ذلك الحيوان السّاخِنَة.

شَعَر باك أنّه يَضُجّ بالحَياةِ في تِلْك اللحْظَة، وَشَعَر بِغَريزَتِه الأساسيَّة بِكُلّ قواه.

وفيما كان باك يلاحِقُ الأرْنَبَ اعترضَهُ جِسْمٌ كثُّ الشعرِ وَسْط الظلام. كان سبيتز هو الذي انْقَضّ على الأَرْنَب وَكَسَر ظَهْرَه بِأَسْنانِه فعَلا صَوْتُ الكِلاب فَرَحاً وَسَعادَة.

لَم يسْعَدْ باك كَبَقِيَّةِ الكِلاب وَلَم يَسْتَطِعْ أن يمنَعَ نَفْسَه من التَّوَقُّفِ الآن، فَدَفَع سبيتز إلى الأَرْضِ وَتدَحْرَجا عَلى الثَّلْج. وَفي لَحْظَةٍ أدْرَك باك أنّ الوَقْتَ قد حان وَأنّ هَذا القِتالَ هو قِتالٌ حَتّى المَوْت.

الفصل الخامس

قِتال حتّى المَوْت

كان سبيتز مُعتاداً على القِتال والفَوْز. لكِنّه لم يَنْسَ أنَّ خَصْمَهُ مُصِرٌّ أيضاً على القَضاءِ عليه.

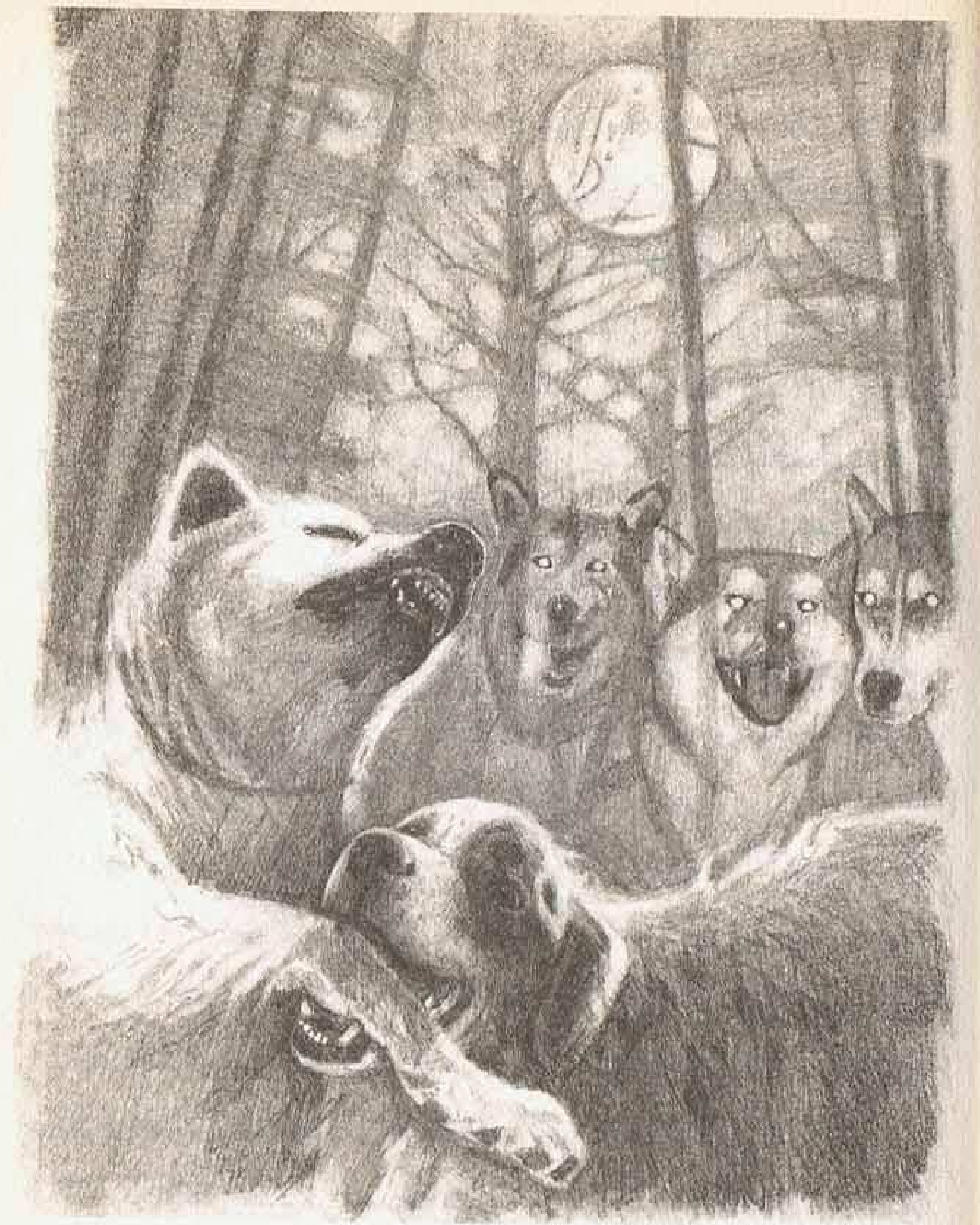
وخِلال العِراك، حاوَل باك مِراراً أن يغرز أَسْنانَهُ في رَقَبَةِ سبيتز ثُمَّ يتَظاهرُ بأنّه يُريدُ إمْساكه برقَبتِهِ إلاّ أنّه كان في اللحظةِ الأخيرة يسحَبُ رأسَه ويضرِبُ سبيتز بكتِفِه. ولكن سبيتز كان في كلِّ مرةٍ يقفِزُ مُبْتَعِداً. وبقيتِ الحالُ كذلك حتّى سالَتْ دِماءُ باك وتسارَعَتْ أنْفاسُه.

كان قِتالاً فظيعاً.

تحلَّق حوالي ستين كلباً حولَ الكلبين لمُشاهدةِ ما يحدُث. وفي إحدى المرّات، حدَث أن وقَعَ باك أرْضاً فاسْتعَدَّتْ الكلابُ للاقْترابِ ببُطْء، إلاّ أنَّ باك نَهض بسُرْعةٍ فتَراجعَتْ وجلَستْ على الثَّلج تنْتَظِرُ ما سيَحْدُث.

كان باك يَمْلِكُ ميزةً واحِدةً هي مُخيِّلته. فانْدفَع نحْوَ سبيتز مرَّةً أُخْرى مُسْتَهْدِفاً كتفه، إلاّ أنّه انْخَفَضَ وأَطْبَقَ أسْنانه على ساقِ خَصْمِه وسَمِعَ صوتَ تكسُّرِ عِظامٍ تَحْتَ أسْنانِه.

كان سبيتز يُواجِه الآن باك على ثلاثةِ أرْجُل، ثُمَّ كرَّر باك ما فعَل فكسَر قدم سبيتز الأُخْرى. حاوَل سبيتز الوُقوفَ باهْتياجٍ كبير إلاّ أنه رأى دائِرةَ الكِلابِ تضيقُ عليْه، وكانت عُيونُهم تلْمَعُ وألْسِنَتُهم تتَدلّى واللُّعابُ يَسيلُ مِنْها. لم يكُنْ لسبيتز أيَّ أملٍ وكانت دائِرةُ



الكِلابِ قريبةً جِدّاً منه لدرَجةِ أنّ باك كان يَشْعُرُ بأنْفاسِها على ظَهْرِه ثم توَقَّفَتْ وجمَدت في مكانها لم يكُن بوُسْع سبيتز إلاّ أن يُظْهِرَ غضَبه مُزَمْجِراً إلاّ أنّ الكِلابَ انْدفَعتْ نَحْوه بقُوَّة واخْتَفى سبيتز تحتها.

شاهَدَ باك ما كان يَجْري. إنّه الآن بَطَلٌ مُنْتَصِرٌ انتهى من قَتْلِ خَصْمِه وَشَعَر بالرِّضا لِذَلِك.

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي، رَأى فرانسوا جُروح باك فَقال لبيرولت: "سَنُمْضي الآن أوْقاتاً جَيِّدَة، فَلا مَزيدَ مِن المَشاكِل وَما مِن سبيتز بَعْد الآن بالتَّأكيد".

بَعْد ذَلِك أَحْضَر فرانسوا سول-ليكس ليَقودَ الفَريق إلاّ أنّ باك وَثَبَ عَلَيْه غاضِباً وَدَفَعَهُ إلى الخَلْفِ واحْتَلّ مَكانه. أَغْضَبَ هذا السُّلوكُ فرانسوا فَدَفَع باك بَعيداً وَأعاد سول-ليكس ثُمّ أَحْضَر هَراوَته، فَتَذَكَّر باك الرَّجُل ذا السُّتْرَةِ الحَمْراء فانْسَلّ مُبْتَعِداً.

رَفَض باك الانْضِمامَ إلى الفَريق وَاضْطُرّ فرانسوا وبيرولت إلى اللّحاق به وَمُطارَدَته وَرَمْي الهَراواتِ عَلَيْه، إلاّ أنّ باك ظلّ مُبتعِداً.

تأوّه بيرولت قائلاً: "لقد تأخَّرْنا!"

وَفي نِهايَةِ المَطافِ رَبَطَ فرانسوا سول-ليكس وباك في مُقَدِّمَةِ الفَريق وما لَبِثَ الفَريقُ أنِ استأنفَ عَمَلَه. كان بيرولت سَعيداً بالنَّتيجَة، فَقَد اجتازوا أرْبَعينَ ميلاً في اليَوْمِ الواحِدِ وَلِمُدَّةِ أسْبوعَيْن في جَوٍّ مُعْتَدِلِ البُرودَةِ انْعَدَمَت فيه الثُّلوجُ الجَديدَة. وَكانَت تِلْك آخر رِحْلات الفَريق. فَقَد حَصَل فرانسوا وبيرولت عَلى عَمَلٍ جَديدٍ وَباعا الكِلابَ لمالِكينَ جُدُدٍ في مَحطَّةِ البَريد. وأصْبَح عَمَلُ الكِلابِ يَتَلَخَّصُ الآن بالذَّهابِ إلى داوْسن عِدَّة مَرّات لتَوْصيلِ الرَّسائِلِ إلى الرِّجالِ المُنَقِّبينَ عَنِ الذَّهَب. وَهَذا العَمَل لَم يُعجِبْ باك إلاّ أنّه افْتَخَر بِعَمَلِه وَبما يَقوم بِه.

وَعِنْدَما كان الظَّلامُ يَسودُ كان باك يُحِبّ الجُلوسَ قُرْب نار

المُخَيَّم وَالتَّأمُّلَ عَبْر أَلْسِنَة النّار، وَكان يتذكَّرُ أحْياناً بَيْت جادْج ميلر المُشْمِس في كاليفورنيا، إلاّ أنّه كان يُفكِّرُ أكْثَر بالرَّجُل ذي السُّتْرَةِ الحَمْراء وبِمَوْتِ كيرلي وقِتاله مع سبيتز. لم يَنْتَبْهُ الحَنينُ للأيّام الماضِيَة. فتِلْك الذِّكْريات لَم يكُنْ لها أيُّ تأثيرٍ عليْه، بَل إن غَرائِزَه الحَيوانيّة الأساسِيَّة كانَت تُسَيْطِرُ عَلَيْه وتَقْوى يَوْماً بَعْد يَوْم.

قَطَع الفَريق 2500 ميل في أقَلّ مِن خَمْسَةِ أشْهُر. وَكانت الكِلابُ مُنْهَكَةَ القُوى بِسَبَب ذَلِك حتّى أنه تَمّ اسْتِبدالُها بِكِلابٍ جَديدَةٍ صَغيرَةِ السِّنّ وَقَوِيَّة.

وبذلك يكون باك قد بيعَ للمَرَّةِ الثّالِثَة وَلأوَّلِ مَرَّةٍ في حَياته يَفْقِدُ باك الثِّقَةَ بمالِكيه.

الفصل السادس

كارِثَةٌ على البُحَيْرَة

كان مالكو باك الجُدُد رَجُلَيْن وَامْرَأة. كان اسما الرَجُلَيْن "هال" و"تشارلز". وكانتِ المرأةُ "مرسيدس" زَوْجَةُ تشارلز وَأُخْتُ هال.

وَكان تشارلز رَجُلاً في مُنْتَصفِ العُمْر عَيْناهُ ضَعيفَتان دامِعتان ويُغَطّي شارِبُه شَفَتَيْه المُتَدَلِّيَتَيْن. أمّا هال فَكان صَغيرَ السِّنّ في العِشْرينيات مِن عُمْرِه يرْتَدي عَلى الدَّوام حِزاماً يَحْمِلُ فيه مسدَّساً وَسِكّيناً للصَّيْد. لم يكُنْ أيٌّ مِن المالِكين الجُدُد من المِنْطَقَة وَكان باك كُلَّما رآهُم تَثْبُطُ عَزيمتُهُ وَيحْزَن.

كانَت عائِلَةً صَغيرَةً طيّبة أتَتْ للتنقيبِ عن الذَّهَب.

وبَيْنَما كانوا يُحَمِّلونَ أمْتِعَتَهم وَيَرْبِطونَها عَلى الزَّلاجَة أتى بعضُ الرجالِ مِن خَيْمَةٍ مُجاوِرَةٍ لِمُشاهَدَتِهم وَقال أحدُهُم:

"يَبْدو أنَّ الحِمْلَ ثَقيل".

إلاّ أنَّ تشارلز تَجاهَل مُلاحظَتَه وَأكْمَلَ رَبْطَ الكِلابِ إلى الزَّلاجَة، وَعِنْدَما حاوَلَتِ الكِلابُ سَحْبَ الزَّلاجَةِ لَم تَتَمَكَّنْ مِن ذلِك، فَصرَخ هال:

"يا لَكُم مِن كُسالى، سَأُريكم!" ثُمَّ لَوَّحَ بِسَوْطِه.

هَتَفَت مَرسيدس: "لا يا هال، لا تَقُم بِذلِك"، وأخذتِ السَّوْطَ مِن يَدِ أخيها.

قالَ هال: "يا عزيزتي أنْتِ تَعْرِفين الكِلاب، إنَّهم كُسالى وَأنا أقولُ لَك هَذا، اسْأَلي أيّاً مِن هؤُلاء الرِّجال".

قالَ أَحَدُ الرِّجال: "إنَّهم تَعِبونَ إذا أردْتَ مَعرِفَةَ السبب، وهم يَحْتاجونَ إلى الرّاحَة".

إلاّ أنَّ سَوْطَ هال هَوى عَلى الكِلاب، وَحاوَلوا ثانِيَةً تَحْريكَ الزَّلاّجَةِ إلاّ أنَّها لَم تَتَحَرَّك. فَصاحَ رَجُلٌ مِن الرِّجال:

"لا أَكْتَرِثُ لِما سَيَحْدُثُ لك وَلكِنْ مِن أَجْلِ الكِلاب أُريدُ إخْبارَك بِأنَّ الثَّلْجَ يغطّي مُشَغِّلاتِ الزَّلاجَة وَهي مُتَجَمِّدَة على الأَرْض".

أصْغى هال لِكَلامِ الرِّجال هَذِه المرَّة. فَكَسَّر الجَليدَ عَنِ المُشغِّلاتِ فَتَحَرَّكَتِ الزلاّجَةُ في النِّهايَة. انْدَفَعَتِ الكِلابُ بِاتِّجاهِ الشّارِعِ الرَّئيسيّ وَفيما هِي تَنْعَطِفُ مالَتِ الحُمولَةُ وَسَقَطَتْ عَلى الأرض.

فَصَرَخ أحدُ المارَّة: "إذا أَرَدْتَ الوصولَ إلى داوْسن فَعَلَيْك تَخْفيفَ الحُمولَةِ إلى النِّصْف وَمُضاعَفَةَ عَدَدِ الكِلاب".

وفيما كانت مرسيدس تُفْرِغُ حَقائِبَها لِلتَّخْفيفِ مِن الحُمولَةِ بَكَتْ عَلى أغْراضِها وَظَنَّت أنَّها تَرَكَت أشْياءَ مُهِمَّةً قَد يَحْتاجونَها في رِحْلَتِهِم الخَطِرَة هَذه. أمّا تشارلز وهال فَقد أَحْضَرا سِتَّةَ كِلابٍ إضافِيَّة. نَظَر باك إلَيْهم باحْتِقارٍ كَبير. فَكَيْف لَهُم أن يتجاهَلوا بِأنَّ الزَّلاّجَة لا تَسْتَطيعَ حَمْلَ طَعامٍ لأَرْبَعَة عَشَر كَلْب؟

فَقَدَتِ الكِلابُ إحْساسَها بِالوَقْت كُلِّيّاً، إذ إنَّ مالِكيها كانوا كُسالى لِلغايَة حتّى أنَّهم في بَعْضِ الأوْقات لَم يُغادِروا المُخَيَّمَ طوال اليَوْم. وَتَدْريجيّاً قَلَّ طَعامُ الكِلابِ وأصابَها التَّعَبُ وَالإرْهاق، وَهَذا

ما جعَل هال يزيدُ كمِّيَّةَ طعامِها غيرَ مُدرِكٍ لعواقِبِ ذلك، وكانت مرسيدس أيْضاً تسرِقُ السَّمك وتُطْعِمُهُم.

ماتَتِ الكِلابُ السِّتَّةُ الجديدة وبدأتِ العائِلَةُ بالشِّجارِ لأتْفَهِ الأسْبابِ وفقَدتِ المنْطَقَةُ القُطْبِيَّةُ سِحْرَها وبريقَها وبدأت فِكْرَةُ التَّنْقيبِ عَن الذَّهَبِ تتَلاشى. ولقد جعلوا الكِلابَ تُعاني مِثْلَهُم أيضاً.

كان باك يَجْري مُتَرنِّحاً في مُقدِّمَةِ الفريق. وكانَتِ الحَياةُ بالنِّسْبَةِ إليه كابوساً مُزْعِجاً. كان يَجرُّ العَرَبَةَ عِنْدما يكون قادِراً. وإذا تعذَّرَ علَيْه ذلِك كان السَّوْطُ يُعيدُه إلى مُتابعَةِ العمَل. وأدّى ذلِك إلى تَلطُّخِ شَعْرِ باك بالدَّم في أغْلَبِ الأوْقات وتحوُّلِ قُوَّته إلى ضُعْفٍ وهُزالٍ كُلِّيّ. ولكِنّه لا يَسْتَطيعُ السُّقوط الآن، فالرَّجُلُ ذو السُّتْرَة الحَمْراء كان قد أثبتَ له ذلك.

توالى مَوْت الكِلابِ يَوْماً بَعْد يَوْم ولَم يَبْقَ إلاّ سَبْعَة كِلابٍ مِن ضِمْنِها باك. كانت تُشبهُ أكْياساً عَظْمِيَّة تَجْري بِترَنُّحٍ وكانت كلَّما توقَّفت انْحَنَت إلى الأرْض وكأنَّها مَيِّتَة.

مَضَتِ الأيّامُ وأقْبَل الرَّبيع وبدأ الثَّلْجُ بالذَّوبان، وقدِمتِ العائِلَةُ إلى مُخيَّم جون ثورنتون قُرْبَ مَصَبِّ النَّهْر.

سأَلَ تشارلز جون ثورنتون: "كيْفَ هِيَ الأحْوالُ هُنا؟"

أجابَ جون: "لقد بَدَأ الثَّلج بالذَّوبانِ بِسُرْعَة والأفْضَل أن تنْتَظِروا قُدومَ الشِّتاء. أما بِالنِّسْبَة لي فَلَنْ أُجازِفَ بِحَياتي من أجل ذهَبِ آلاسْكا كُلِّه."

قالَ هال: "سَنَذْهَبُ إلى داوْسن على أيِّ حال."

ثُمَّ رفَع سَوْطَه صائِحاً:

"انْهَض! أنْت هُناك يا باك، انْهَض!"

نَهَضَ الفريقُ كُلّه باسْتِثْناءِ باك الذي ظلَّ في مكانِه حَيْثُ سَقط وعزَمَ على البَقاءِ في مكانِه، حتّى أنّه لم يَشْعُرْ بأيِّ شَيْءٍ عِنْدما هَوى السَّوْط على جَسَدِه. فَلَقَد كان جَسَدُه مُخَدَّراً وكان مُنْفَصِلاً تَماماً عَن مُحيطِه يَمْلَؤُه إحْساسٌ بِأنَّ شَيْئاً رَهيباً سوفَ يَحْدُث.

شاهَد جون ثورنتون ما حدث، ثُمَّ انْفَجَر غاضِباً في وجهِ هال وارْتَجَفَ صَوْته:

"إذا جلَدْتَ ذلِك الكَلْبَ مَرَّةً أُخْرى فَسأَقْتُلُك."

أجاب هال: "إنَّه كَلْبي."

ثُمَّ هَوى بِالسَّوْط عَلى باك حتّى سالت الدِّماءُ مِن أنْفِه، ثُمَّ صاحَ بِجون: "ابْتَعِدْ عَن طَريقي فَأنا ذاهِبٌ إلى داوْسن."

بَعْد ذلِك سَحَبَ هال سِكّينَه فَصَرَخَتْ مرسيدس. وهَجَم جون علَيْه وأسْقَط السِّكّينَةَ مِن يَدِهِ إلاّ أنَّ هال الْتَقَطَها ثانِيَةً وتَوجَّه إلى باك وقَطَع أرْبِطَته الجِلْدِيَّة، وقالَ غاضِباً: "إنَّه غَيْر ذي جَدْوى الآن فَهُو شِبْهُ مَيِّت؛ هَيّا بنا نَنْطَلِق."

وبَعْد دَقائِقَ قَليلَةٍ انْطَلَقَتِ العائِلَةُ الصَّغيرَةُ عَلى زلاّجَتِها وانْتَقَلَتْ مِن ضفَّةِ النَّهْر إلى النَّهْر المُتَجمِّد. وفَجْأةً وفيما جون وباك يُشاهِدان ما يَحْدُثُ غرِقَتِ الزَّلاّجَةُ في النَّهْرِ لأنّ الجليدَ كان رَقيقاً ولَم يَتَحمَّل وَزْنَها.

نظَرَ جون ثورنتون إلى باك مَذهولاً: "أيُّها الشيطانُ المِسْكين."

وبِدَوْرِه نظر باك إلى جون ولَعِق يَدَه.

الفصل السابع

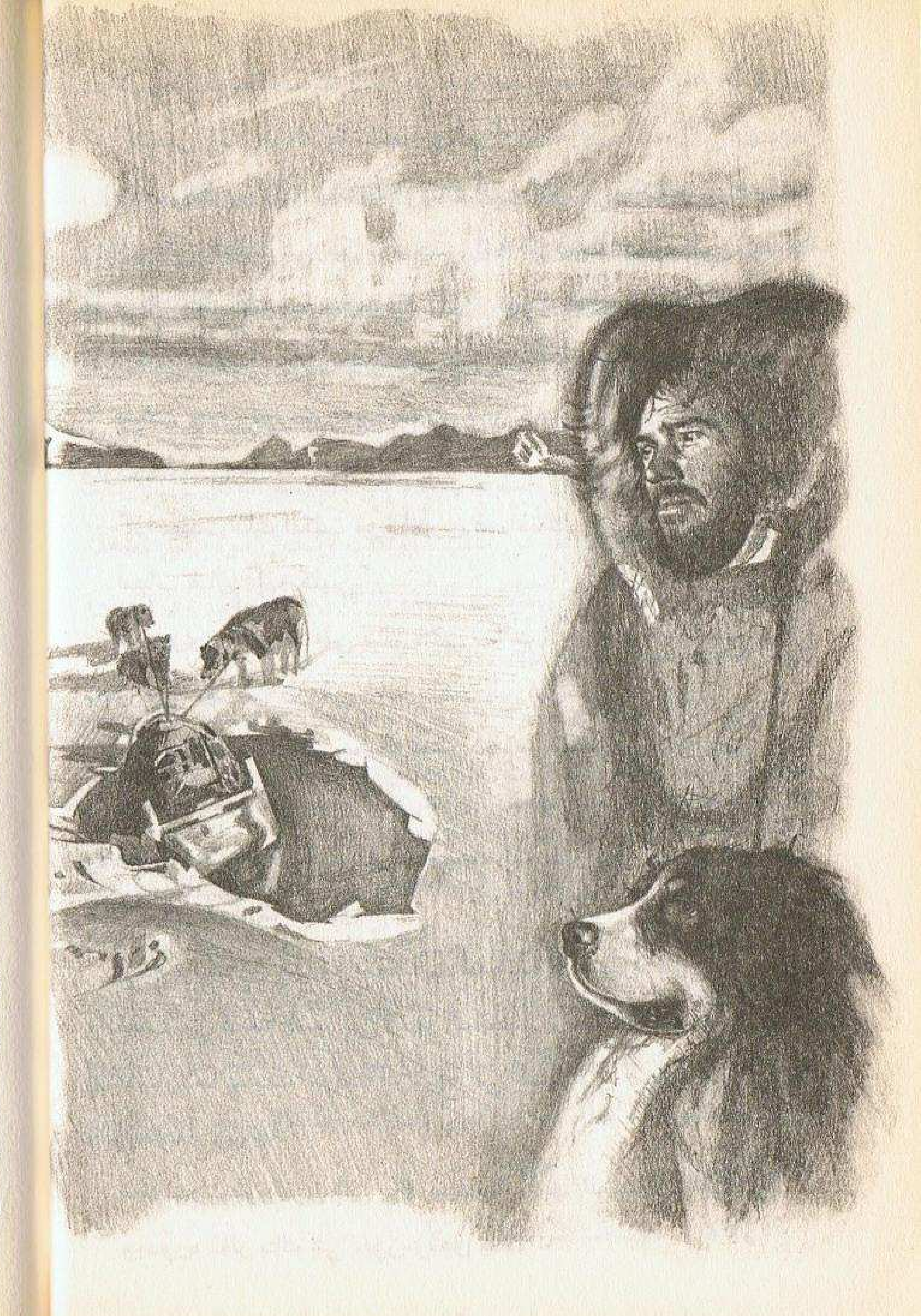
مِن أجْل حُبّ رَجُل

ارْتاحَ باك وَشُفِيَتْ جُروحُهُ وَقَوِيَتْ عضَلاتُه وزادَ وَزْنُه. وكان الأمْرُ كَذَلِكَ بالنِّسْبَة لجون ثورنتون، إذْ إنّه كان قد تأذّى مِن الصَّقيعِ وَهُو في طَريقِهِ إلى داوْسن في الشتاء المُنْصَرِم. إلاّ أنّه ما زالَ يَعْرُجُ قليلاً وهو الآن ينْتَظِرُ صَديقَيْه هانز وبيت ليُحْضِرا طَوْفاً وينقلاه إلى مَدينَة داوْسن عَبْر النَّهْر.

كان ثورنتون يَمْلِكُ كَلْبَيْن آخرَيْن، وَهُما كَلْبُ صَيْدٍ صَغير اعْتاد أن يَلْعَقَ جُروحَ باك، وَكَلْبٌ ضَخْمٌ له عَيْنان دائمتا الابْتِسام. وَلَم يَشْعُرْ هذان الكَلْبان بالغَيْرَة من باك بَل كانا وَدودَيْن معه كَسَيِّدِهما.

كان جون ثورنتون المالِكَ المِثاليّ. فكان يَجْلِسُ وَيُحادِثُ كِلابَه، وَكان يُمْسِكُ رَأْسَ باك وَيَتَظاهَرُ بأنّه يُعَنِّفُه، إلاّ أنّه يُعاوِدُ إظْهارَ حُبّه له فكان باك يُمْسِكُ يَدَه بَيْن أسْنانِه ولا يَعَضُّها. وكان باك يتحوّلُ إلى كَلْبٍ برِّيّ بكُلّ سَعادَةٍ مع حَديث ثورنتون وَعطْفه وَكان يَجْلِس ساعات طِوال يَنْظُرُ إلى وَجْهِ سَيِّدِهِ دون مَلَل.

لَم يَرْجِعْ باك إلى طَبيعَتِه الهادِئَة التي كان عَلَيْها في المِنْطَقَة الجَنوبيَّة. لقد أَصْبَح كَلْباً بَرِّيّاً يُقاتِلُ الكِلابَ الأُخْرَى التي تَأْتي مِن المُخَيَّماتِ المُجاوِرَة، وَلَم يُظْهِرْ أيَّةَ رَحْمَةٍ، فالخَوْفُ يُؤدي إلى



الموت، وَقد عَلِم ذَلِك. اُقتُل وَإلاّ سَتُقتَل. كُلْ وإلاّ سَتُؤكَل. كان هَذا هو القانون السائدُ وباك كان يعملُ بمُوجِبه.

لَطالَما كان باك يَجْلِسُ أمامَ النّار المُشْتَعِلَة ويفكّرُ في الكِلاب الأُخْرَى التي كانت تتَّصِفُ بِأنَّها أنْصافُ ذِئاب. وَلَطالَما حَلَمَ بها وأراد أن يكون معَها. فيُخَيَّلُ إليْه أنها تُناديه فيُدير ظَهْرَه للنِّيران وَيلْحَقُ بها وَلَكِنّ حُبّه لجون ثورنتون كان يُعيدُه لتِلْك النِّيران ثانيَة.

عِنْدَما ذابَ الثَّلْجُ عَن النَّهْر، وَصَل صَديقا ثورنتون ومعهُم الطَّوْف. وَجدَ الرِّجالُ الثَّلاثَة عَملاً لَهُم في معْمَلٍ لقطعِ الأخْشابِ فكانوا يَنْقلون جُذوعَ الأشْجارِ عبْر النَّهْر لذَلِك المعْمَل. وَفي أحَدِ الأيّام كان ثورنتون عَلى الطَّوْف في مُنْتَصَفِ النَّهْر وَكان صَديقاه عَلى ضَفّةِ النَّهْر يُحاوِلان تَثْبيتَ الطَّوْفِ بِالحِبال.

وَقف باك عَلى ضَفّةِ النَّهْر وَعيْناهُ لا تُفارِقان سَيِّدَه. وَفَجْأةً انْقلبَ الطَّوْفُ وأخذ التيّارُ القويُّ يجرفُه باتجاهِ الشلاّلاتِ أسْفَل النَّهْر، فَقفَزَ باك فَوْراً إلى الماء وَسَبَحَ حتى وَصَل إلى ثورنتون الذي أمْسَك بِذَيْلِه إلاّ أنَّ التَّيّارَ كان قَوِيّاً وَأدْرك ثورنتون أنّهُما لَن يَسْتطيعا الوصولَ إلى ضفّةِ النَّهْر مَعاً فَأطْلَق ذَيْل باك صارِخاً: "اذْهَب يا باك! اذْهَب!".

سَبَح باك بِمُفْرَدِه إلى ضفّة النَّهْر، ثُمّ رَبطه الرَّجُلان بِحَبْلٍ وَقفزَ مَرّةً أُخْرى إلى النَّهْر. حاولَ باك الوُصولَ إلى سَيِّدِه مِراراً عَديدَة إلاّ أنّه كادَ أن يَغْرَقَ فَسحبَه الرَّجُلان ثانيَةً إلى الضفّة.

هُناك كان لا يزالُ قادراً على سَماعِ صَوْتِ ثورنتون الضَّعيف فقفَز ثانيَةً بِكُلّ قُوَّتِهِ إلى المِياه وَاسْتَطاعَ الوصولَ إلى سَيِّدِه الذي

أَمْسَك بِرَقَبَتِهِ وَظَلاّ يُحاوِلان الْتِقاطَ أنْفاسِهِما عَبْرَ التَّيّاراتِ العَنيفَةِ إلى أن سُحِبا مَعاً نَحْو الضفَّة وَتَمّ إنْقاذهما.

حَلّ الشِّتاءُ مَرّة أُخْرى في داوْسن، وَلِلمَرَّةِ الثّانِيَة في ذَلِك العام كان باك بَطَلاً. فَقد تَجَمَّعَ عَدَدٌ مِن الرِّجال في الحانَة وراحوا يَتَفاخَرون بِقُوَّة كِلابهم:

قالَ أحدُهم: "يَسْتَطيعُ كَلْبي أن يَجُرَّ حِمْلاً مِقْداره خمس مئةِ باوند."

وَقالَ آخرُ: "يَسْتَطيع كَلْبي أن يَجُرّ ستّ مئة".

وَقالَ رَجُلٌ آخر يُدْعى ماتهيوسون: "أمّا كَلْبي فَيَسْتَطيع أن يَجُرّ سبع مئة".

فَقالَ جون ثورنتون: "ماذا؟" وَتابع قَبْل أن يَتَمَكَّن مِن السَّيْطرة عَلى نَفْسِه: "يَسْتَطيعُ كَلْبي باك أن يَجُرَّ ألف باوند،" ثُمّ تَرَدَّد وَأضافَ: "وَيَسْتَطيع الاستمرارَ بذَلِك لمَسافَةِ 100 ياردة".

قالَ ماتهيوسون: "حَسَناً أُراهِنك بِأَلْف دولار أنّه لا يَسْتَطيع ذَلِك".

وَرَمى كيساً مِن مسحوقِ الذَّهَب على الطّاوِلَة. لَم يَدْرِ جون ثورنتون ماذا عَساه يقول. فَهُو لا يَمْلِكُ أَلْفَ دولارٍ ليَقْبَلَ الرِّهان. ولأَوَّل مَرَّةٍ في حَياتِه يَقومُ ثورنتون باقْتِراضِ المال مِن صَديقٍ لَه في الحانَة، ثُمّ راحَ الرِّجالُ في الحانَة يَضَعونَ أمْوالَهم للرِّهان كَذَلِك وَانْتَقلوا بَعْدَها إلى الخارِج في الطَّقس الشَديد البُرودَة.

تَأَوَّهَ ثورنتون عِنْدَما رَأى زَلاّجَة ماتهيوسون، وكانَت مُحمَّلَة بِسِتَّةِ أكْياسٍ مِن الطَّحين وَيَقودُها عَشرةُ كِلاب؛ كَيْف يُمْكِن لباك أن

يَقومَ بِعَمَلِ عَشْرةِ كِلابٍ؟ وَضَعَ ماتهيوسون أَرْبِطَةَ الزَّلاَّجَةِ حَوْلَ باك، ثُمّ انْحنى ثورنتون نَحْوَ باك وَاقْتَرَبَ مِنْه هامِساً في أُذُنِه: "قُم بِذَلِك مِن أجْلي يا باك"، ثُمّ نَهضَ واقِفاً.

صَرخ ثورنتون: "الآن، هيا يا باك!"

تَناهى أَمْرُ ثورنتون إلى سَمْعِ باك كَطَلْقَةِ رَصاص، فَانْدَفَعَ إلى الأمام وهو يحرِّكُ رَأْسَهُ للأعْلى وَالأَسْفَل وَيحْني صَدْرَه الكَبير نَحْوَ الأَرْض. ارتختِ الزَّلاَّجَة وَتمايلتْ ثُمّ تَوقَّفتْ بعد أن انزَلَقت قدمُ باك. بَعْدَ ذلِك تَقَدَّمَتِ الزَّلاَّجَةُ نِصْفَ إنْش، ثُمّ إنْش، ثُمّ إنْشَيْن... وَلَم تَتَوَقَّفْ بَعْدَ ذلك، بل أخذَتْ سُرعَتُها تزدادُ بشكلٍ مُطَّرِد.

هَتَفَ الرِّجالُ مَسْرورين وَرَموا قُبَّعاتِهم في الهَواء، ثُمّ تصافحوا، أمّا ثورنتون، فقد رَكَعَ عَلى قَدَميْه بِجانِبِ باك وَالدُّموعُ تَملأُ عَيْنَيْهِ وأخذَ يعَنِّفُه على طَريقَتِهِ الخاصّة.

الفصل الثامن

البَحْثُ عن الذّهَب

عِنْدَما رَبِحَ باك 1600 دولار في خَمْسِ دَقائِق أصْبَحَ باسْتِطاعَةِ سَيِّدِهِ جون ثورنتون التَّوَجُّهُ نَحْوَ الشَّرْقِ والبَحْثَ عن الذّهَب؛ لَيْس في نَهْر كلونديك الكَبير وَلكن في مَنْجَمٍ مَهْجور أبعد إلى الشرق وحيث تكونُ قِطَعُ الذّهَب أكْبَرَ وَأفْضَل مِن تِلْك المَوْجودَة في المَناطِق الغَرْبيَّة. لقد بحث عن ذلك الذّهب الكثيرُ مِن الرِّجال، إلاّ أنّ قِلَّةً منهم عَثَرتْ عليه، أمّا الآخرون فلَم يَعودوا مِن رِحْلَتِهم أبداً.

انطَلَق الرِّجالُ الثّلاثَةُ في رِحْلَتِهِم تَجُرُّهم الكِلابُ وَقَطَعوا سبعينَ ميلاً نَحْوَ وادي يوكون وَالجِبالِ العالِيَة. لَم يَشْعُرْ باك بِمِثْلِ هَذه السَّعادَة مِن قَبْلُ إذ كان يَجْري في البَرِّيَّة وَيَصْطاد. وَبَعْدَ مُرورِ أسابيعَ خَيَّموا في النِّهايَة في العَديدِ مِن المَناطق. كانوا أحْياناً يَشْعُرونَ بالجوع وَأحْياناً أُخْرى يَأكلونَ كَثيراً. ثُمّ أقْبَلَ الصَّيْفُ وكانوا يتنَقّلون بالطَّوْفِ عَبْرَ البُحَيْراتِ وَالأنْهارِ المَجْهولَة.

حَلّ الشِّتاءُ مَرَّةً أُخْرى وَكانَ الرِّجالُ قَد اقْتَرَبوا مِن المَنْجَمِ المَهْجورِ إلاّ أنّ الطَّريقَ سُدَّتْ أمامَهُم فَجْأة. وَمع حُلولِ الرَّبيع وَصَلوا إلى نَهْرٍ عَريضٍ أسْفَل وادٍ وهُناك كان الذّهَبُ الأصْفَرُ يلمعُ أمامَهُم. فاسْتَقَرّ الرِّجالُ هُناك وَلَم يَبْحَثوا في مكانٍ آخَر. وكانوا يَعْمَلونَ بِجُهْدٍ كَبير وَيملأون أكْياسَهُم الجِلْدِيَّة بالذّهَب.

لَم يَكُنْ هُناك عَمَلٌ لِلكِلاب، وَكان باك يَجْلِسُ أمام نارِ المُخَيَّمِ

ساعات طويلة. وَبمرورِ الأيّامِ أَصْبَحَ النِّداءُ القادِمُ مِن الغابَةِ أكْثَرَ وضوحاً وَتَمَنَّى باك الذَّهابَ إلى هُناك. وَفي أَحَدِ الأيّامِ ذَهَب باك إلى الغابَةِ وهو يَنبَحُ بِصَوْتٍ مُنْخَفِض. وَبَعْد ذَلِك غَمَس أَنْفَه في المُسْتَنْقَعِ البارِد ثُمّ في الطِّينِ الأسْوَد. ثُمّ رَبَضَ خَلْفَ الأشْجارِ المُتكَسِّرَةِ وَراحَ يُشاهِدُ ما حَوْله. لَم يَعْلَمْ لماذا كان يَقوم بِتِلْك الأفْعال، إلاّ أنّه لم يَسْتَطِعْ ضَبْطَ نَفْسه.

كانَت تَعْتَري باك مَشاعِرُ غَريبَة. فتارةً يكونُ مُسْتلقِياً عَلى الأرْضِ نَعِساً تَحْت أَشِعَّةِ الشَّمْس، وتارةً تَنْتَصِبُ أُذُناه فَجْأَةً فيَهُبُّ مُطْلِقاً العَنان لأرْجُلِه، ويبقى على هذه الحال ساعاتٍ طَويلَة. كان يَتمَدَّدُ على الأَرْض وَأحْياناً وَيُراقِبُ الطُّيورَ يَوْماً كامِلاً. كان يحِبُّ الجَرْيَ وَقْتَ الغَسَقِ وَكان دائِماً يَنْتَظِر النِّداء لِيَتوَغَّل أكْثر فأكثر.

في إحَدى الليالي أفاقَ فَجْأَةً فانْتَصَب شَعْرُهُ وَاسْتَنْشَقَ الهَواء. تَناهَى إلى سَمْعِهِ نِداءٌ من البَرِّيَّة وَكان يسمعُه بِوضوحٍ هَذِه المرَّة، وكان عُواءٌ طَويلٌ. عَلِم في داخِلِه أنّه سَمِعَ هَذا الصَّوْت مِن قَبْل فَرَكَض باتِّجاهِهِ، وَعِنْدما أَصْبَح قَريباً جِدّاً أَبْطَأَ مِن سُرْعَةِ جَرْيِه. وَبِحِرصٍ تَحرَّكَ إلى الأمام لِيَجِدَ نَفْسه وَسَط مِنْطَقَةٍ مكْشوفَةٍ خالِيَةٍ من الأشْجار. حدَّق باك بِقُوَّة في المنظرِ الذي أمامه.

كان يجلِسُ مُقابِله ذِئبٌ وَكان أنفُ ذَلِك الذِّئب مُتَّجِهاً للأعْلى نَحْو السَّماء.

تَحرَّك باك إلى الأمام يَجْلِسُ تارةً على الأرْضِ ويَمْشي تارَةً أخرى. كان ذَيْلُهُ مُنْتَصِباً وَجِسْمُه على أُهْبَةِ الاسْتِعْدادِ للوَثْب. إلاّ أنّ الذِّئْب جَرى مُبْتَعِداً عِنْدما رأى باك فَلَحِقه باك وَحاصَره على مَقْرُبَةٍ



مِن مَجْرى النَّهْر. التفت الذِئْبُ ليُواجهَ باك وهو يكشِّرُ عن أنيابِهِ مُزَمْجِراً.

لَم يُهاجِمْ باك الذِّئْبَ، بَل دارَ حَوْلَه مُتَوَدِّداً. وَكان باك يلحقُ بالذِّئبِ كلَّما حاول أن يهرُبَ مِنْه إلى أن اسْتَسْلَمَ الذِّئبُ في النِّهايَةِ وَاقْتَرَب مِن باك وَشَمّ أَنْفه. ثم أخذا يلهوان مَعاً حَتّى ابْتَعَد الذِّئْبُ راحِلاً فَتَبِعه باك وَأخذا يركُضان جَنْباً إلى جَنْب منذ الغَسَقِ وطوالَ الليلِ حَتى شروقَ الشَّمْس.

شَعَر باك بالسَّعادَة. فَقَد لَبَّى النِّداءَ أخيراً وها هو يركُضُ الآن مع أخٍ شَقيقٍ له. ثُمّ تَذكَّر جون ثورنتون.

كان جون ثورنتون يَتَناوَلُ طَعامَ العَشاء عِنْدَما رَجَعَ باك إلى

المُخَيَّم جارِياً ثُمّ انْدَفَع نَحْو سَيِّده وَأطاحَه أرْضاً وَلَعق وَجْهه وَعَض ذِراعَه بِلُطْف.

أمْسَك ثورنتون وَجْهَ باك بَيْن يَدَيْه وَهَتَف ضاحِكاً: "أيّها الأبْلَه العَجوز".

لَم يُغادِرْ باك المُخَيَّم لمُدَّة يَوْمَيْن. وكان يلحقُ بثورنتون أينما ذَهَب ويراقبُه وهو يأكُلُ ويَعْملُ وينام. إلاّ أنَّ النِّداءَ أتى ثانِيَةً بعد يومَيْن وَبِشكْلٍ أقْوَى هَذِه المرَّة وهذا ما أقْلَقَ باك وَجعلهُ يُفَكِّرُ في شَقيقِه البَرّيّ في كُلّ الأوْقات. وفي وقت لاحِقٍ ذَهَب باك إلى الغابَة وَلَكِنَّ الذِّئب البَرِّيّ لم يأتِ.

أصْبَح باك يَتَغَيَّبُ عَن المُخَيَّم أياماً مُتَتالِيَة. وكان يَذْهَبُ إلى ما وراءِ الجِبالِ وَأعالي النَّهْر حيث كان يجري في السابق وحيثما اصطاد سَمَكَ السَّلمون وَقتَل دُبّاً كبيراً أسْود اللَّون. وأصْبَح تَعَطُّشُه للدِّماء قَوِيّاً. لقد أصبحَ قاتِلاً وَهُو يَعْلَم ذلِك.

لاحَظَ الرِّجالُ في المُخَيَّم التَّغيُّرَ الذي حدثَ لباك. فقد كان يَضِجُّ حَياةً وَعافِيَةً وكان سَريعَ الاسْتِجابَةِ للأصْواتِ وَكذلك عِنْد الهُجومِ أو الدِّفاع.

قالَ جون ثورنتون وَهُو يَنْظُرُ إلى باك: "لا يوجَد مَثيلٌ لباك"، ثُمَّ شاهَده يَمْشي مُبْتَعِداً عَن المُخَيَّم وَكانَت تِلْك آخِرَ مَرَّةٍ يُشاهِدُ فيها جون ثورنتون باك.

الفصل التاسع

هُجومُ الهُنود!

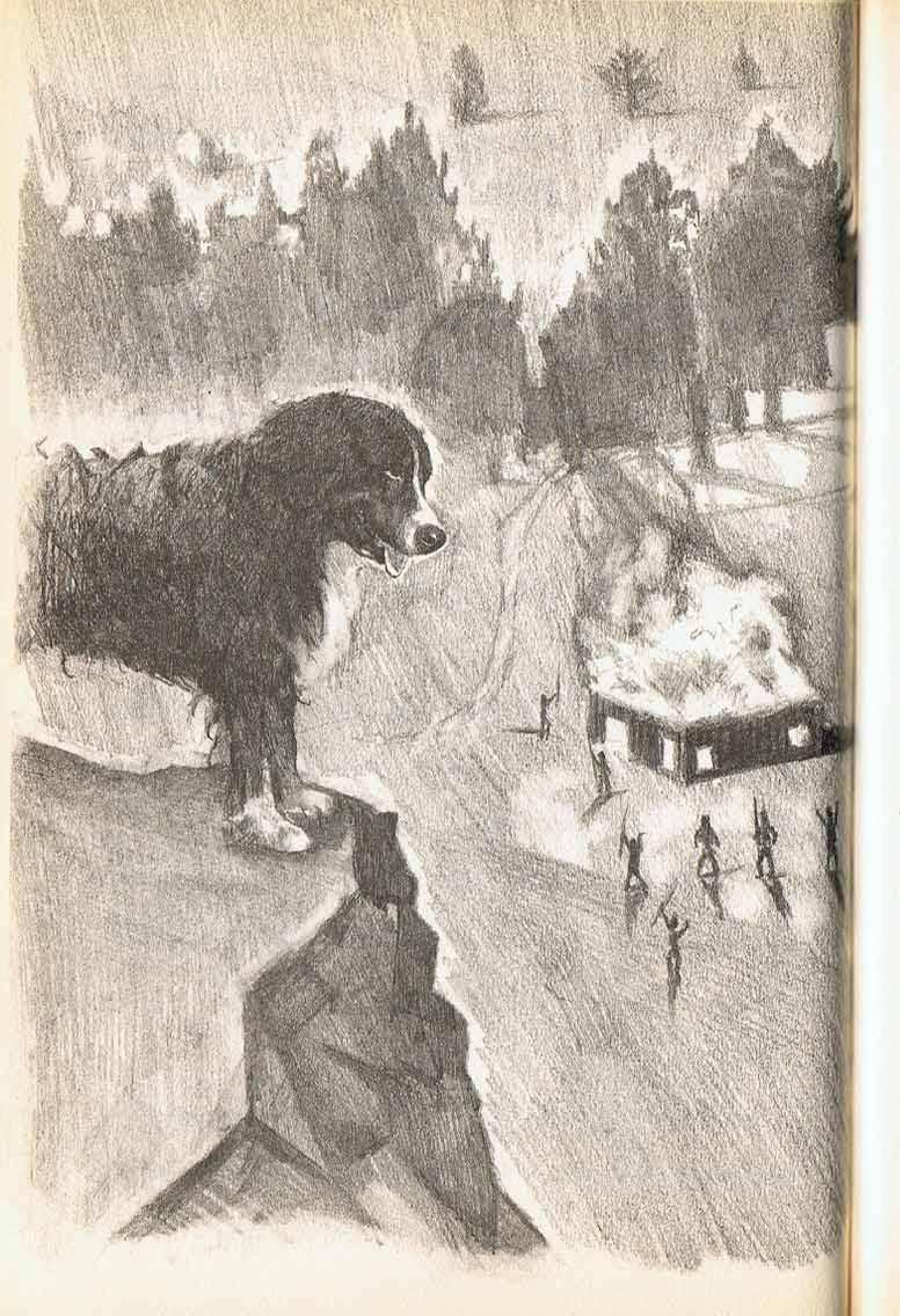
لَم يُلاحِظْ جون ثورنتون التَّغَيُّرات الأخْرَى التي حَدثت لباك بعد وُصولِه إلى الغابة، فَلَم يعُدْ يمشي، بل أصْبَح كلباً من كلاب البريّة. يَزْحَفُ عَلى بَطْنِه كالحيَّة ثُمّ يَسْتَعِدّ للوُثوبِ وَالانْقِضاضِ عَلى الحَيَواناتِ الصَّغيرَة. كان يَصْطادُ السَّمَكَ والقنادِس مِن بِرَكِ المِياه، وكان يريدُ أن يأكُلَ كلَّ ما يَصْطادُه.

وَفي أحَدِ الأيّامِ في أواخِرِ فَصْلِ الصَّيْف، وَفيما كان باك يَسْتَعِدُّ للعَوْدَة إلى المُخَيَّم، شَعَر بِأنّ هُناك شَيْئاً غريباً يَحْدُث وَلَقد تَناقَلَتْه الطُّيورُ وَتَحَدَّثَت عَنْه السَّناجِبُ وَهَمَسَتْ بِه النَّسَماتُ التي كانت تَهُبّ. شَعَر باك بأنّ شَيْئاً رَهيباً سوف يَحْدُث أو أنه قَد حَدَث بالفِعْل.

وَفيما كان باك يَنْزِلُ الوادي باتِّجاهِ المُخَيَّم أبْطأ سُرْعَته. لَقَد شَعَر بأنّ هُناك خَطْباً ما.

وَعلى بُعْد ثَلاثَة أمْيالٍ مِن المُخَيَّم وَجَد باك آثار أقْدامٍ حديثَةً واضِحَةً تَمْتَدُّ حتّى المُخَيَّم. فَبَدأ شَعْرُ جِسْمه بالانْتِصابِ وَأسْرَع في جَرْيِه. نَظَر إلى الغابَة ثانِيَة فَلَم يَسْمَعْ صَوْتاً بِها، وَكانَتِ الطُّيورُ قَد طارَتْ وَالسَّناجِبُ تَفِرُّ مُبْتَعِدَة.

اسْتَنْشَقَ باك الهَواءَ وَالتَقَط رائِحَةً غَريبَةً فَتَبِعها حَتّى وَصَل إلى



مَجْموعَةٍ مِن الأشْجار. شاهَد من البعيد كَلْبَ ثورنتون الأسْوَد مُمَدَّداً على جانِبِه وَقد اخترقَ جَسَدَه سهمٌ وَقتَلَه. وَعلى بُعْدِ مئةِ يارْدَة مِن ذَلِك الكَلْب الأَسْوَد كان كَلْبُ ثورنتون الآخر يَحْتَضِر، وهو الكلب الذي أَحْضَره ثورنتون لِيَجُرَّ الزَّلاَّجَة مِن مَدينَة داوْسن، إلاّ أنّ باك مَرّ مِن جانِبِه دون أن يَتَوَقَّف.

سَمِعَ باك أصْواتاً خافِتَة كانت تَأتي مِن المُخَيَّم، وَكانَت تِلْك الأصْواتُ تَرْتَفِع ثُمّ تَنْخَفِض وَكَأنَّها أُنْشودَة. زَحفَ باك عَلى بَطْنِه باتِّجاهِ المُخَيَّمِ، وَفي طَريقِه وَجَدَ هانز وَقَد اخْتَرَقَت السِّهامُ جَسَدَهُ وَكَأنَّه شَيْهَمٌ شائِك.

حَدَّق باك عَبْر الأشْجار باحِثاً عَن الكوخِ الخَشَبِيّ، وَفَجْأة انْتَصَبَ شَعْرُه وَاعْتَراه الغضَب عندما شاهَدَ الكوخَ يَحْتَرِقُ وَمَجْموعَةٌ مِن الهُنودِ تَرْقُصُ حَوْله.

لَم يَعْلَمْ باك أنّه عَوى بِصَوْتٍ عالٍ، وَلأوَّلِ مَرَّةٍ في حَياتِه يُظْهِر مَشاعِرَه الحَقيقيَّة وَيَتَناسى مَكْرَهُ وخداعَهُ بِسَبب حُبِّه الكَبير لِجون ثورنتون. وَعِنْدَما سَمِع الهُنودُ عُواءَ باك الرَّهيب تَوَقَّفوا عَن الرَّقص، فَهجَم باك عَلى زَعيمِهم وَقَضى عَلَيْه ثم انْقَضّ عَلى رَجُلٍ آخر لا يردَعُه شَيْء. حاوَل الهُنودُ إطْلاقَ السِّهامِ عَلَيْه إلاّ أنَّهم أصابوا بَعْضَهُم بَعْضاً. فَزِعَ الهُنود وَهَربوا نَحْو الغابَة، إلاّ أنّ باك لَم يَتْرُكْهُم وَشَأنهم بَل لَحِقَهم وَاصْطادَهم كالغِزْلان، وَفي النِّهايَة تَرَكَهُم وَعادَ إلى المُخَيَّم وَبَدأ بَحْثَه عَن بيت وَجون ثورنتون.

وَجَد باك بيت مَقْتولاً في فِراشِه تلفّه بَطّانيَّته، وَوَجَد آثارَ أقدامٍ قَريبَةً تُظْهِر حُدوثَ عِراكٍ مُميت. تَتَبَّع باك الرَّائِحَةَ التي أوْصَلته إلى حافَّةِ النَّهْر، وَهُناك وَجَد كَلْبَ الصَّيْد الوَفِيّ والمياه تَغْمُرُ نِصْفَهُ الأماميّ.

أكْمَلَ باك تَتَبُّعَ رائِحَة سَيِّدِه وَلم يَسْتَطِعْ شَمَّ أيَّةِ رائِحَةٍ في الماءِ. ثُمّ شاهَدَ جُثَّةَ جون ثورنتون في الماءِ.

الفصل العاشر

نِداءُ البَرِّيَّة

ظَلّ باك في المُخَيَّم طَوال ذَلِك اليَوْم يَتَجَوَّلُ فيه قَلِقاً. فقد أشْعَرَه مَوْتُ سَيِّدِهِ بالفَراغِ والضَّياع وَكَذَلِك بِجوعٍ شَديدٍ لا يَسدُّهُ أيُّ طَعام. كان كلَّما نَظَرَ إلى جُثَثِ الهُنودِ شَعَرَ بِالفَخْر الشَّديد. لَقد قَتَل رَجُلاً وَهَذا أقْصى ما يُمْكِنُ تَحْقيقه. شَمّ باك الجُثَث بِفُضولٍ شَديد، وَراحَ يُفَكِّرُ في مَدى السُّهولَةِ التي قَتَلَهُم بِها. إنّ قَتْلَ كَلبِ هاسكي كان أصْعَبَ مِن قَتْلِ هَؤلاء البَشَر، وَمِن الآن وَصاعِداً لن يَشْعُرَ بالخَوْفِ مِنْهم.

كان القمرُ يسطَعُ في تِلْك الليلة ويُلْقِي بِنورِه على الأشْجار حتى بدا الوَقْت وكَأنّه نَهار. نَظَر باك إلى الغابَة وَشَعَر بِأنَّها تَضِجُّ بالحَياةِ ثانِيَة فَهَبّ واقِفاً وَاسْتَنْشَق الهَواء وَأصْغى بانْتِباه.

سَمِعَ باك نُباحاً خافِتاً، وما لَبِث أن أصْبح ذَلك الصَّوْتُ أكْثَر قُرْباً وَوُضوحاً، فَمَشى إلى مُنْتَصفِ المِنْطَقَةِ المَكْشوفَة مِن الغابَة وَأصْغى.

إنه النِداءُ نفسه.

لَم يَشْعُرْ باك في حَياتِه أنّه مُسْتَعِدّ لتَلْبِيَة النِّداء مثلما يشعُر الآن.

فجون ثورنتون قد مات وبموتِهِ فَقَدَ أيَّة صِلَةٍ تَرْبطُهُ بالإنْسانِ.

فَجْأَةً اقْتَرَبَت مِنه مَجْموعَةٌ مِن الذِّئاب كانت قد قَطَعَت النَّهْر وَجاءَت تَتَصَيَّدُ في واديه ثُمَّ أَتَتْ إلى المِنْطَقَةِ المَكشوفَة. وَهُناك وَقَفَ باك كالتِمْثال يَنْتَظِرُهم. كانَتِ الذِّئابُ خائِفَةً مِنه في البِدايَة لأنه جامِدٌ لا يَتَحَرَّك وَلأنَّه ضَخْمُ البِنْيَة. بَعْد ذَلِك انْقَضَّ عَلَيْه أحدُ الذِّئاب، إلاّ أنَّ باك وَبِلَمْحَةِ بَصَرٍ كَسَر لَه أَنْفَه ثم وقفَ بِدونِ حِراكٍ والذِّئْبُ يترَنَّحُ مِن خَلْفِه مُتألِّماً.

انْدَفَعَتْ ثَلاثَةُ ذِئابٍ نحو باك، واحِداً تِلْوَ الآخَر، إلاّ أنَّهم تراجَعوا بَعْد أن أخذ الدَّم يسيلُ من أَعْناقِهم وَأَكْتافِهم. ثم انْدَفَعتِ المَجْموعَةُ بِأَكْمَلِها لِقَتْلِ باك وَالقَضاءِ عَلَيْه. لكنَّ باك وَقَف عَلى قَدَمَيْه الخَلْفِيَّتَيْن مهدِّداً كلَّ ذِئبٍ يُحاوِلُ الاقْتِرابَ منه. لقد كان باك سَريعَ الحَرَكَةِ يَتَنَقَّلُ مِن ناحِية إلى أخرى.

اندفعَ باك إلى ضِفَّة النَّهْر الأخْرى لِيَمْنَعَ الذِّئابَ مِن اللَّحاق بِه. ثم وقف مواجِهاً لها وأخذ يَنْتَظِر. بَعْد نِصْفِ ساعَةٍ تَراجَعَتِ المَجْموعَةُ ولم يَظْهَرْ مِنْها سِوى الأَلْسِنَة المُتَدَلِّية وَالأَنْياب التي كانت تَلْمَعُ تحت ضَوْءِ القَمَر. تَمَدَّدَ البَعْضُ من تِلْك الذِّئاب على الأَرْض وَبَقِيَت آذانُها مُنْتَصِبَة، وَوَقَفَت أخرى تَنْظُر إلى باك، وَحاوَلَتْ قِلَّةٌ منها رَشْقَه بِالمياه.

وَفي النِّهايَةِ اقْتَرَب ذِئْبٌ كَبيرٌ رَمادِيُّ اللَّوْنِ من باك. وكان هو الذئبُ الذي اعْتَبَرَه باك الأخَ الشَّقيق له وَالذي استمرَّ يجري مَعه يَوْماً وَلَيْلَةً كامِلَيْن، ثُمَّ ما لَبِثَ أن لامَسَ أَنْفَ باك.

بَعْد ذَلِك تَقَدَّمَ من باك ذِئْبٌ عَجوزٌ تُغَطِّيه النُّدوب فَكَشَّر باك عن

أَنْيابِه غاضِباً إلاّ أن الذِّئْبَ العَجوز شَمَّ أَنْفَ باك فتَوَقَّف باك عَن الزَّمْجَرة وأخذ يبادِلُ الذِّئْبَ العَجوزَ مُلامَسَة الأَنْفَيْن ثُمَّ انْتَظَر ما سَيَحْدُث.

جَلَس الذِّئْبُ العَجوزُ على الأَرْض وَوَجَّه أَنْفَه باتِّجاهِ القَمَر وَعَوى طَويلاً، وَما لَبِثَتِ الذئابُ الباقِيَةُ أن جَلَسَت على الأَرْضِ كَذلك وَعَوَت، وَجاء دَوْرُ باك فَجَلَس على الأَرْض وَأَطْلَق بِدَوْرِه عُواءً قَوِيّاً.

خَرَجَ باك مِن المِياهِ وَالْتَفَّتِ الذِّئابُ حَوْله ثُمَّ أخذت تَشُمُّهُ بِطَريقَةٍ



وُدِّيَّةٍ تارَةً وَعِدائِيَّة تارَةً أُخْرى؛ ثُمّ جَرى قادَةُ المَجْموعَةِ إلى الغابَة فَتَبِعَتْهُم البَقِيَّةُ وَراحوا يَعْوون بِتَناغُم.

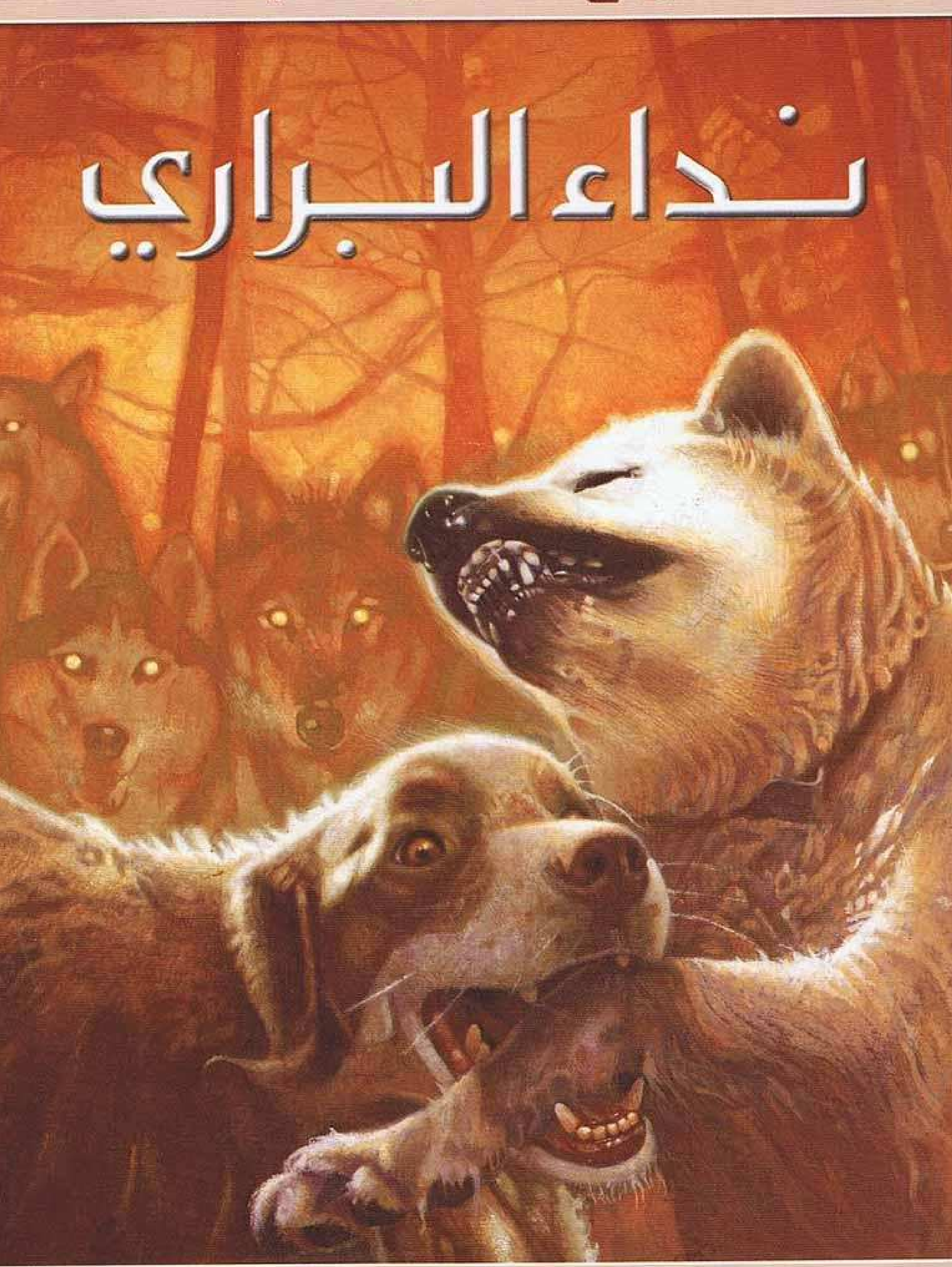
نظرَ إليهم باك لِلحظةٍ ثُمّ جَرى خَلْفَهم وهو يَعْوي وَبِجانِبِه شَقيقُهُ البَرِّيّ.

أخيراً، لَبّى باك نِداءَ البَرِّيَّةِ بِحَقّ.

وَبَعْد ذَلِك بِسَنواتٍ، لاحَظَ الهُنودُ تَغَيُّراً في نَسْلِ الذِّئاب. فَقد كانَت هُناك بُقَعٌ بُنِّيَّةٌ عَلى رؤوسِ بَعْضِ الذِّئاب وَأُنوفِها فيما كانَت هناك بُقَعٌ بَيْضاءُ عَلى صُدورِ بَعْضِها الآخَر.

وقد رَوى الهُنودُ قِصَصاً كَثيرةً عَن رِجالِ قَبائِلَ وُجِدوا وأعْناقهم مشقوقة... وعَن آثارِ أقْدامٍ في الثَّلْجِ يَفوقُ حَجْمُها آثارَ أقدامِ أيّ ذِئب... وعَن كَلْبٍ ضَخْمٍ يأتي في الصَّيْفِ إلى المنْطَقةِ المَكْشوفَةِ مِن الغابَة وَيَعْوي بِجانِبِ النَّهْرِ كالذِّئابِ البَرِّيَّة...

أروع القصص العالمية



أكاديميا